دراسات يهودية (١)

حديث القرآن عن التوراة



الدكتور
صلاح عبد الفتاح الخالدي

دار العلوم
للنشر والتوزيع

حديث القرآن عن التوراة

الرقم الدولي: ISBN 9957-29-004-5

العنوان: حديث القرآن عن التوراة

تأليف د. صلاح عبدالفتاح الخالدي

الصف والإخراج: ابن مقلة - عمان - الأردن

+ ٩٦٢ ٧٧٣٧٢٤٠٣

تصميم الغلاف: دار الفن - عمان - الأردن

هاتف ٥٦٥٨٧٨٧ ٦ ٩٦٢ +

خط الغلاف الخطاط: يعقوب إبراهيم

+٩٦٢ ٧٩٥٨٠٢٣٧

عدد الصفحات: ١٩٠ صفحة

القياس: ١٤ × ٢١ سم

عدد النسخ: ٢٠٠٠

دار العلوم للنشر والتوزيع - العبدلي

مقابل البنك العربي

تلفاكس: ٥٦٢٧٨٢٨-٥٦٦٤٣٢٨ (٦ ٩٦٢ +)

ص.ب: ٩٢٥٠٣٢ عمان ١١١٩٠

عمان - الأردن

aloloum@hotmail.com

دار العلوم للنشر والتوزيع

دراسات يهودية «١»

حديث القرآن عن التوراة

الدكتور: صلاح عبدالفتاح الخالدي

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م

ISBN 9957-004-5

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(١٢٣٢/ ٦/ ٢٠٠٣)

٢٢٨.١

خال الخالدي، صلاح عبدالفتاح

حديث القرآن عن التوراة / صلاح عبدالفتاح الخالدي

٠- عمان: دار العلوم للنشر، ٢٠٠٣.

(دراسات يهودية، ١)

ر.إ: ١٢٣٢ / ٦ / ٢٠٠٣

الواصفات: / القرآن/ / اليهودية/ / التوراة/ / الفلسفة اليهودية

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

دار العلوم للنشر والتوزيع

عمان العبدلي - مقابل البنك العربي

هاتف ٥٦٢٧٨٢٨ - تلفاكس ٥٦٦٤٣٢٨

ص.ب ٩٢٥٠٣٢ عمان ١١١٩٠ الأردن

aloloum@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة:٧٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران:٧٨].

وقال الله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ..﴾ [المائدة:١٣].

وقال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾ [الجمعة:٥].

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فهذا الكتاب «حديث القرآن عن التوراة» هو الحلقة الأولى من سلسلة «دراسات يهودية» التي نوينا إعدادها وإصدارها بعون الله، المتعلقة بدراسة الفكر الديني اليهودي، الذي يوجه ويدفع ويحرك اليهود والصليبيين، الذين يعادوننا في هذا الزمان، ويهدفون إلى تخريب بلادنا، ونهب ثرواتنا، وإفساد شبابنا، والقضاء على ديننا.

وقد أصدرنا العام الماضي الحلقة الأولى من سلسلة «أضواء قرآنية على الفكر الديني اليهودي»، وخصصناها للحديث عن الأرض المقدسة، وكانت بعنوان «حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية».

إن الفكر الديني اليهودي يقوم أساساً على «أسفار العهد القديم»، وهم يزعمون أن العهد القديم كتاب الله، وينظرون له كما ينظر المسلمون للقرآن، ويريدون منا أن نؤمن أنهم موحدون مؤمنون، وأنهم على حق مثلنا تماماً، وأن أسفار العهد القديم من عند الله، وأن ما فيها من خطأ وكذب وكفر وضلال هو من عند الله أيضاً!!

وضلال، وكذب وادعاء، لذلك دعت الحاجة إلى سبق تلك الحلقات بهذه الحلقة، التي تصلح أن تكون مدخلاً وتمهيداً لها، وأن تستصحب هذه الحلقة عند قراءة الحلقات القادمة.

جاءت هذه الحلقة منعاً للبس وسوء الفهم، وقضاءً على الاتهام والإشكال! فقد يظن بعضهم أننا عندما نتكلم على العهد القديم المحرف، ونبين ما فيه من كفر وكذب، أننا نتكلم على «التوراة» التي أنزلها الله على موسى عليه السلام، وأننا نهاجمها وننقدها ونبين أخطاءها، وأننا لا نؤمن بها!!

لذلك جاءت هذه الحلقة لبيان الحقيقة وتوضيح الأمر.

هدفنا من هذا الكتاب بيان «حديث القرآن عن التوراة»، وذكر آياته التي تمدحها وتثني عليها، وتدعونا إلى أن نؤمن بها، ونوقن أنها كتاب الله النازل على موسى عليه الصلاة والسلام. وقد وقفنا مع هذه الآيات التي تحدثت عنها، وذكرنا معناها بإجمال، كما وقفنا مع الآيات الأخرى التي تحدثت عن تحريف الأحبار للتوراة، وتكذيبهم في بعض مزاعمهم!!

وعندما نمعن النظر في «حديث القرآن عن التوراة» فسنجد أنه يتحدث عن توراتين:

التوراة الأولى: التوراة الربانية: وهي كتاب الله الكريم الذي أنزله على موسى عليه السلام.

التوراة الثانية: التوراة اليهودية: وهي التي ألفها الأحبار بعد ذلك، وحرفوا التوراة الأولى الربانية وغيروها وبدلوها.

وقد أثنى القرآن على التوراة الأولى، وأمرنا بالإيمان بها، لأنها كلام الله. بينما ذم التوراة الثانية، وأدان الذين ألفوها، ودعانا إلى عدم الإيمان بها، لأنها من تأليف الأحبار.

وقد جاء هذا الكتاب تفصيلاً للكلام حول التوراتين، وتحديد الفروق بينهما، وتقرير إيماننا بالتوراة الأولى الربانية؛ لأنها كلام الله، وكفرنا بالتوراة الثانية اليهودية، لأنها من تأليف الأحبار الكاذبين، وتأكيد أن التوراة الأولى فُقدت وأضاعها اليهود، والقليل منها مزجه الأحبار بكلامهم الكثير الباطل، وأن كتاب اليهود الديني الآن «العهد القديم» هو التوراة الثانية اليهودية، وليس التوراة الأولى الربانية، التي إيماننا بها إيمان «تاريخي»، ليس له بعد واقعي، لأننا لا نؤمن أن العهد القديم كلام الله النازل على موسى عليه السلام، وإنما نؤمن أنه من تأليف الأحبار، ومليء بالأخطاء والأساطير والمزاعم والأباطيل.

وقد جاء الكتاب في المباحث التالية:

الأول: الإيمان بالأنبياء والرسل: وعدم التفريق بين أحدٍ منهم، ولأن الكفر بأحدهم كفرٌ ونقضٌ للإيمان، يؤدي إلى خلود صاحبه في النار.

الثاني: الإيمان بالكتب: باعتباره أحد أركان الإيمان الستة، والكفر بكتاب منها نقضٌ وإلغاء للإيمان، ووجوب الاعتقاد بأن التوراة والزبور والإنجيل والقرآن كتبٌ أنزلها الله على رسله عليهم الصلاة والسلام!

الثالث: موسى عليه السلام رسول في الوادي المقدس: ذكرنا فيها ما جرى لموسى عليه السلام وهو في وادي «طوى» المقدس، حيث ناجاه الله، وأخبره أنه اصطفاه للنبوة، وآتاه آيتي العصا واليد، وأمره بالذهاب إلى فرعون.

الرابع: موسى عليه السلام في طريقه إلى جبل الطور: ذكرنا فيه توجه موسى إلى جبل الطور، كما واعده الله، حيث استخلف أخاه هارون عليه السلام على بني إسرائيل، وتوجه لمناجاة الله، وغاب عن قومه أربعين يوماً.

الخامس: دك جبل الطور وصعق موسى عليه السلام: تابعنا فيه الأحداث المثيرة على جبل الطور، حيث كلم الله موسى عليه السلام تكليماً، فطمع عليه السلام أن يرى الله بعينيه، ولما طلب من ربه أن يراه، أخبره أنه لا يطيق أن يراه، وعلق ذلك على الجبل، ولما تجلى الله بعظمته للجبل جعله دكاً، عند ذلك خرّ موسى عليه السلام مصعوقاً، ولما أفاق أعلن يقينه بعدم إمكانية رؤية الله في الدنيا.

السادس: موسى عليه السلام يتلقى ألواح التوراة: ذكرناه فيه إنزال ألواح التوراة على موسى عليه السلام وهو على جبل الطور، حيث كتبت التوراة على تلك الألواح في السماء، ولم يفصّل القرآن عدد ألواح التوراة أو حجمها.

السابع: عودة موسى عليه السلام بالألواح إلى قومه: ذكرنا فيه تأثر وغضب موسى عليه السلام عندما وصل قومه، فوجدهم يعبدون

العجل، حيث ألقى الألواح، ولام أخاه، وعنّف قومه، ثم أخذ الألواح وبلغها لقومه.

الثامن: التوراة كلمة أعجمية: سجلنا فيه الخلاف في كلمة التوراة، هل هي عربية مشتقة، أم هي أعجمية، ورجحنا أعجميتها، وأنها بمعنى الشريعة.

التاسع: ورود التوراة في القرآن: ذكرنا فيه مرات ورود كلمة «التوراة» في القرآن، والسور التي وردت فيها، والسياق الذي وردت فيه.

العاشر: من أوصاف التوراة في القرآن: تابعنا السور المكية والمدنية التي ذكرت أوصافاً للتوراة، ومدحتها وأثنت عليها، وبينا معاني الصفات الحميدة المذكورة فيها.

الحادي عشر: الأمر بأخذ التوراة بقوة: نظرنا فيه في الآيات التي أخبرت عن أخذ بني إسرائيل بالصاعقة، وحكمة أمرهم أن يأخذوا التوراة بقوة.

الثاني عشر: من أحكام التوراة في القرآن: سجلنا فيه بعض الأحكام التي ذكرها القرآن، وأخبر أن الله شرعها لبني إسرائيل. وبينا تلك الأحكام، والآيات التي ذكرتها.

الثالث عشر: تحريف أحبار اليهود للتوراة: انتقلنا فيه من الحديث عن التوراة الربانية الصحيحة إلى التوراة اليهودية المحرفة، وتابعنا الآيات التي تحدثت عن تحريف الأحبار للتوراة، وسجلنا معانيها ودلالاتها.

الرابع عشر: القرآن يسجل بعض جرائم الأحبار: ذكرنا فيه بعض الجرائم الخطيرة التي ذكرها القرآن، ونسبها للأحبار، وذمهم من أجلها، وبين تمردهم على شرع الله.

الخامس عشر: القرآن مصدق للتوراة الربانية: ذكرنا الآيات التي تحدثت عن تصديق القرآن للتوراة الربانية التي أنزلها الله على موسى عليه السلام.

السادس عشر: القرآن مكذب للتوراة اليهودية: وهي التوراة المحرفة التي ألّفها الأحبار، ونسبوها إلى الله كاذبين، وذكرنا أمثلة ونماذج لما كذبه القرآن منها.

وختمنا الكتاب بخاتمة فرقنا فيها بين التوراتين: التوراة الربانية التي يجب الإيمان بها، ومن جحدها فقد كفر.. والتوراة اليهودية التي ألّفها الأحبار، التي يجب الكفر بها، ومن آمن أنها كلام الله، رغم ما فيها من كفر وتكذيب، فهو كافر. لأنه يكذب صريح القرآن.

إن حديث القرآن عن التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام ثناء عليها ومدح لها.. ونحن نؤمن أنها كتاب الله، كما نؤمن أن الأحبار حرفوها، وأن التوراة اليهودية الموجودة عند اليهود الآن -العهد القديم- ليست كلام الله، وإنما هي من تأليف الأحبار الكافرين المحرفين.

ونؤمن أن الله نسخ التوراة التي نزلها على موسى عليه السلام بعد تحريف الأحبار لها، وأوجب عليهم الإيمان بالقرآن، والدخول في الإسلام.

ونؤمن أن اليهود كفار، لأنهم لم يدخلوا في الإسلام، ولا ينفعهم

تمسكهم بالتوراة اليهودية المحرفة.

ونؤمن أن «العهد القديم» الذي ألفه الأحبار مليء بالأخطاء والأكاذيب، والروايات الباطلة، والمزاعم الزائفة!

وشتان بين التوراة الربانية الحقة، والتوراة اليهودية الباطلة.

والحمد لله، الذي حفظ لنا قرآننا، ونصر ديننا، وثبتنا على الحق.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي

الاثنين ١٤/ ١/ ١٤٢٤هـ

١٧/ ٣/ ٢٠٠٣م

(١)

الإيمان بالرسل

من رحمة الله بالناس أنه بعث لهم أنبياء ورسلاً، وأنزل عليهم كتباً، وذلك لهداية الناس وإرشادهم، وإنذارهم وتبشيرهم، وبيان مالهم وما عليهم، وإصلاح حياتهم.

ولذلك كان الكفر بالكتب والرسل عدم تقدير وتعظيم لله، واتهاماً له بالظلم سبحانه. قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍۗ﴾ [الأنعام:٩١].

أرسل الله الرسل وأنزل عليهم الكتب، بعدما اختلف الناس في الحق، وتخلوا عن الهدى، وذلك بهدف هدايتهم وإرشادهم. قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة:٢١٣].

ومن المعلوم عندنا أن أركان الإيمان ستة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه

ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. وقررت ذلك آيات القرآن وأحاديث رسول الله ﷺ.

ومن أنكر ركناً من أركان الإيمان فهو كافر، مخلدٌ في نار جهنم. قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء:١٣٦].

وقد أرسل الله رسلاً وأنبياء كثيرين، ذكر لنا أسماء بعضهم، وكثيرٌ منهم لم يذكرهم لنا.. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [غافر:٧٨].

لا يجوز التفريق بين أحد من الرسل:

والأنبياء المذكورون في القرآن يجب الإيمان بهم إيماناً تفصيلياً، بمعنى أن نؤمن بأسمائهم المذكورة في القرآن، ومن أنكر نبوة نبي مذكور بصراحة في القرآن فهو كافر.

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا..﴾ [البقرة:٢٨٥].

والأنبياء المذكورون في القرآن، والذين يجب الإيمان بأسمائهم كما وردت

في القرآن هم: آدم، نوح، هود، صالح، إبراهيم، لوط، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، شعيب، موسى، هارون، داود، سليمان، إلياس، اليسع، إدريس ذوالكفل، يونس، أيوب، زكريا، يحيى، عيسى، محمد.. عليهم الصلاة والسلام.

وقد جمع معظمهم في بعض آيات القرآن. كقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام:٨٤-٨٦].

الأنبياء المذكورون في هذه الآيات ثمانية عشر نبياً عليهم الصلاة والسلام. وذكرت مجموعة منهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء:١٦٣-١٦٤].

موضوعية وإنصاف المسلمين في إيمانهم بكل الرسل:

ونحن المسلمون منصفون وموضوعيون، وشهداء بالحق، بعكس اليهود والنصارى، فهم عنصريون متعصبون، شهداء بالباطل. إن اليهود يؤمنون بالأنبياء والرسل السابقين، لكنهم يكفرون برسولين عظيمين، هما من أولي العزم، ولهما أثر كبير في البشرية حتى العصر الحاضر، وهما عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، ولكفرهم بهذين الرسولين كانوا كافرين.. والنصارى يؤمنون بالأنبياء والرسل السابقين، لكنهم يكفرون بأفضل وخاتم الرسل محمد ﷺ، وبذلك كانوا كافرين.

أما نحن المسلمون فإننا نؤمن الأنبياء الذين آمن بهم اليهود والنصارى، ونزيد عليهم الإيمان بالأنبياء الذين كفروا بهم. ولذلك نحن الشهداء بالحق، ونحن أكمل الناس إيماناً، وبما أن الإيمان لا يتبعّض ولا يتجزأ فنحن المؤمنون وهم الكافرون.

وقد قررت هذه الحقيقة آيات القرآن. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء:١٥٠-١٥٢].

نظرتان للأنبياء والرسل:

تذكر الآيات نظرتين للأنبياء والرسل.

الأولى: نظرة عنصرية متعصبة، تقوم على الهوى والمزاجية، وهي نظرة اليهود والنصارى، فهم يؤمنون ببعض الأنبياء والرسل، ويكفرون بآخرين: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ .. هم كافرون حقاً، لأنهم فرقوا بين الرسل، وكفروا ببعض: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

الثانية: نظرة موضوعية علمية منهجية، تقوم على العدل والإنصاف، وهي نظرة المسلمين، فهم يؤمنون بكل نبي وكل رسول، لا يفرقون بينهم في وجوب الإيمان والتقدير والاحترام والاقتداء: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾.

والخلاصة أننا نؤمن بنبوة كل نبي أو رسول ذكره الله في القرآن، وننظر له نظرة احترام وتقدير، واقتداء وتوقير، ونعتقد أن الله عصمه وحفظه، فلا سلطان للشيطان عليه، فالرسل هم أفضل الخلق عند الله، وأفضلهم هم ألو العزم الخمسة: نوحٌ وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام. وفي مقدمتهم أفضل الخلق أجمعين محمدٌ ﷺ.

(٢)

الإيمان بالكتب

الإيمان بالأنبياء والرسل يستلزم الإيمان بالكتب التي أنزلها عليهم، والرسالات التي بعثهم الله بها.

فالله أرسل رسله بالآيات البينات، والمعجزات الباهرات، وأنزل على بعضهم كتباً لتكون هدى وإرشاداً. قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ..﴾ [البقرة:٢١٣].

بعث الله رسله مبشرين لمن آمن بهم واتبعهم بالثواب والفلاح، ومنذرين لمن كفروا بهم وكذبوهم بالعذاب والخسران، وأنزل معهم الكتب بالحق، ليحكموا فيها بين الناس، ويذكروا الحق في المسائل التي اختلفوا فيها.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد:٢٥].

أنزل الله مع رسله الكتب ليهتدي بها الناس، والميزان ليحسنوا وزن الأفكار والمبادئ والتصورات، ويميزوا بين الحق والباطل، فالحق هو ما جاءت به كتب الله إليهم، والباطل هو ما تعارض مع ما جاءت به تلك

الكتب.

كفر من أنكر أحد كتب الله:

الإيمان بالكتب من أركان الإيمان الستة، وقد ورد ضمن وجوب الإيمان بالأركان المعروفة. ولهذا أخبر الله عن المؤمنين بقوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ..﴾ [البقرة:٢٨٥].

وقرر أن من كفر بالكتب فهو كافر. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرًا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ﴿١٣٧﴾﴾ [النساء:١٣٦-١٣٧].

أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا بالكتاب الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ، وهو القرآن، كما أمرهم أن يؤمنوا بالكتاب الذي أنزله من قبل، والمراد به الكتب التي أنزلها على رسله السابقين، وقرر أن من كفر بكتب الله، كلها أو بعضها، فهو كافر ضال ضلالاً بعيداً.

حكمة التعبير عن الجمع بالمفرد «الكتاب»:

واللافت للنظر أن الكتب واردة في الآيات الثلاثة بصيغة المفرد. فقال في سورة البقرة: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ..﴾. النبيون والمرسلون جمع، ولم يكونوا معاً في زمان واحد أو مكان واحد، وأنزل الله عليهم كتباً عديدة، ومع ذلك لم تقل الآيــة: وأنـزل معـهم الكتـب، بـالجمع، وإنمـا قـالت: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾.

المـراد بالكتـاب في الآيـات الثلاثـة الكتـب الـتي أنزلهـا الله علـى رسـله السابقين. فلماذا عبرت الآيات بصيغة المفرد.

«الكتاب» في الآيات الثلاث اسم جنس، واسم الجنس ينطبق على المفرد والجمع، وهذا كثيرٌ في القرآن.

وعبّر عـن الكتـب باسـم الجنس لدلالـة هامـة، وهـي اتفـاق كتـب الله المختلفة التي أنزلها على رسله في الموضوع والمهمة والأثـر والهدايـة، فكأنـها كتاب واحد، رغم اختلاف زمانها ومكانها.

ومن هذا الباب إدانة الكفار لكفرهم برسولهم وتكذيبهم له: فــالله بعـث إلى قوم عاد رسولاً واحداً هو هود عليه السلام، ولكنهم لما كذبوه وعصوه حكم الله عليهم بأنهم عصوا وكذبوا الرسل كلهم. قال تعـالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ﴾ [هود:٥٩].

قال: عصوا رسله. ولم يقل: عصوا رسوله. لأن من عصـى رسـولاً فقـد

عصى كل الرسل، ومن كفر برسول فقد كفر بجميع الرسل، لأن مهمة الرسل واحدة، وخلاصة رسالاتهم واحدة.

ولما قام موسى وهارون عليهما السلام بدعوة فرعون إلى الإيمان، قدما نفسيهما على أنهما «رسول».. قال تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾..﴾ [الشعراء:١٦-١٧].

بينما عبرا عن نفسيهما بالمثنى في قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ..﴾ [طه:٤٧].

ولا تعارض بين الآيتين، فموسى وهارون عليهما السلام اثنان باعتبار شخصيهما، ولهذا قالا: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾.. وموضوع رسالتيهما ودعوتيهما واحد، فلهما رسالة واحدة، ولهذا عبر بالمفرد في قولهما: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾. حيث لاحظا موضوع الرسالة.

الإيمان بكتب الله الأربعة:

ومن الإيمان التفصيلي الإيمان بالكتب الأربعة التي أنزلها الله:

- الإيمان بالتوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام.
- والإيمان بالإنجيل الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام.
- والإيمان بالزبور الذي أنزله الله على داود عليه السلام.
- والإيمان بالقرآن الذي أنزله على محمد ﷺ.

وقد ذكرت «التوراة» ثماني عشرة مرة من القرآن، في سور مكية ومدنية. منها قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ..﴾ [المائدة:٦٨].

أما «الزبور» فقد ذكر ثلاث مرات في القرآن.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء:٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء:١٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾..﴾ [الأنبياء:١٠٥-١٠٦].

وذكر الإنجيل اثنتي عشرة مرة في القرآن، في سور مكية ومدنية. منها قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ..﴾ [الأعراف:١٥٧].

ومنهجية المسلمين وموضوعيتهم تظهر من خلال إيمانهم بالكتب، كما ظهرت من خلال إيمانهم بالرسل. وعنصرية وتعصب اليهود والنصارى تظهر من خلال نظرتهم إلى الكتب، كما ظهرت من خلال نظرتهم إلى الرسل.

اليهود عنصريون، لذلك آمنوا بالتوراة والزبور، وكفروا بالإنجيل

والقرآن، والنصارى عنصريون، لذلك آمنوا بالتوراة والزبور والإنجيل، وكفروا بالقرآن.

والمسلمون موضوعيون عادلون منصفون، ولذلك آمنوا بالتوراة والزبور والإنجيل والقرآن، ولذلك كانوا شهداء على الناس!

(٣)

موسى رسول في الوادي المقدس

تحدث القرآن عن الأجواء التي ولد فيها موسى عليه السلام، حيث الخوف والاضطهاد، وقتل المواليد الذكور من بني إسرائيل، وتحدث عن حكمة الله في ترتيب الأمور، حتى تبني فرعون لموسى، حيث رباه في قصره، ولما شب موسى عليه السلام قتل الرجل الفرعوني، ثم هرب إلى مدين جنوب بلاد الشام، حيث عاش فيها عشر سنوات، رعى فيها الغنم للرجل الصالح، وتزوج ابنته.

وبعد انتهاء السنوات العشر عاد موسى عليه السلام بأهله إلى مصر، وعبر صحراء سيناء، ماراً بالوادي المقدس «طوى».

وفي الليل أضاع موسى عليه السلام الطريق، وتاه وسط ظلام الليل البهيم، ولم يدر أين يسير، بالإضافة إلى برد الصحراء الليلي القارص، وبينما هو كذلك، رأى ناراً مشتعلة بجانب جبل الطور، في شاطئ وادي «طوى» الأيمن، عند شجرة هناك، فاستأنس بها خيراً، وطالب أهله أن يمكثوا واقفين في موقعهم، حيث سيذهب هو إلى النار، لعله يجد عندها رجلاً يرشده إلى الطريق، أو يأخذ منها جمرة ليتدفئوا عليها!

ولما وصل إلى النار، ناداه الله، وكلمه تكليماً، وأخبره أنه اختاره نبياً رسولاً، وأمره بالذهاب إلى فرعون.

حديث القرآن عن تكليم الله لموسى في الوادي المقدس:

وقد تحدثت عن هذا المشهد العجيب آيات القرآن، وذكر في أكثر من سورة.

قال تعالى: ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ
نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ
مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ
ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ
يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ
تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ
مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [القصص:٢٩-٣٢].

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا
بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ
أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ
إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ
وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾

إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿١٢﴾..﴾ [النمل:٧-١٢].

وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾..﴾ [النازعات:١٥-١٩].

وتحدثت آيات سورة طه حديثاً مطولاً، عن مشهد تكليم الله لموسى عليه السلام في الوادي المقدس طوى. وتكليفه بالذهاب إلى فرعون. قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ

أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ
سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ
مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾
وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى
﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ
نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ
قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾» [طه:٩-٣٦].

الله يؤتي موسى آيتي العصا واليد:

وآتى الله موسى عليه السلام آيتين باهرتين، دالتين على أنهما من الله، وأن الله أرسله:

الآية الأولى: العصا الخشبية يلقيها موسى عليه السلام على الأرض، فيحولها الله إلى حية تسعى، فيها روح وحياة، كباقي الحيات والأفاعي، ثم يتناولها موسى عليه السلام بيده، فتعود عصا خشبية جامدة. وهذا من فضل الله، فالله هو الذي جعلها حيةً تسعى، والله هو الذي أعادها عصا خشبية، والله هو الذي كرر هذه الآية أكثر من مرة، وأجراها على يد نبيه موسى عليه السلام.

الآية الثانية: يد موسى نفسه عليه السلام: إذا أدخلها في جيبه، جعلها الله بيضاء ناصعة البياض، من غير سوء أو مرض أو برص، ثم يعيدها الله إلى لونها الأصلي الذي خلق موسى عليه السلام عليه، فقد كان موسى أسمر اللون. وهذه الآية الثانية من فعل الله، القادر على كل شيء.

وعاد موسى عليه السلام إلى أهله، ومعه الآيتان، العصا واليد، وواصل سيره إلى مصر، وهو نبي رسول عليه الصلاة والسلام.

ويلاحظ أنه عندما كلمه الله عند جبل الطور، وآتاه الآيتين، لم ينزل عليه كتاباً، وإنما أخبره أنه اختاره نبياً رسولاً، وكلفه بالذهاب إلى فرعون.

موسى يتلقى الأحكام وهو في مصر:

وذهب موسى مع أخيه هارون عليهما السلام إلى فرعون، وأراه الآيتين، وجرى ما جرى بينه وبين فرعون، وآمن به سحرة فرعون، ودافع عنه رجلٌ مؤمن من آل فرعون، وقدم «بياناً دعوياً» متكاملاً لقومه، أخبرت عنه آيات سورة «غافر» -سورة المؤمن-، وعند النظر في ذلك البيان يلاحظ أن موسى عليه السلام قد علم أتباعه المؤمنين ما يتعلق بدينه ورسالته، من الوحدانية وعبادة الله والإيمان بالآخرة، وقيمة الدنيا بالنسبة للآخرة.

وهذا يعني أن الوحي كان ينزل على موسى عليه السلام وهو في مصر، وكان يبلغه بالأحكام والواجبات والأوامر، التي يلتزم بها المؤمنون.

ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا

لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ [يونس:٨٧].

لقد أمر الله المؤمنين من بني إسرائيل أن يجعلوا بيوتهم قبلة، وأمرهم أن يقيموا الصلاة، وهذا معناه أن موسى عليه السلام كان عنده بعض الأحكام التشريعية وهو ما زال في مصر، قبل إنزال التوراة عليه!

(٤)

موسى عليه السلام في طريقه إلى جبل الطور

انتهت المواجهة بين موسى عليه السلام وبين فرعون، بإنجاء الله لموسى عليه السلام وبني إسرائيل، وإغراق فرعون وجنوده في اليم.

وقد أقام موسى عليه السلام مع بني إسرائيل في سيناء، وكان يوجههم ويربيهم، ويقودهم ويؤمّهم، ويعدهم للمرحلة التالية من حياتهم.

وقد أنعم الله عليهم بنعم عديدة، كتظليل الغمام عليهم، وإطعامهم المنّ والسلوى، وتفجير العيون الاثنتي عشرة من الحجر. قال تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ..﴾ [البقرة:٥٧].

موسى يستخلف هارون على قومه ويغيب عنهم أربعين ليلة:

وفي أثناء إقامة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل في الصحراء، أراد الله إنزال التوراة عليه، فطلب منه أن يتوجه إلى جبل الطور، وأن يستخلف أخاه هارون النبي عليه السلام على قومه.

قال تعالى: ﴿۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأعراف:١٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً..﴾ [البقرة:٥١].

لقد فصّلت آية سورة الأعراف الليالي التي غاب فيها موسى عليه السلام عن قومه، فقد كانت ثلاثين ليلة، ثم أتمها الله بأن مددها عشر ليال، فصارت أربعين ليلة. أما آية سورة البقرة فقد أجملت الكلام، بذكر مجموع تلك الليالي: ﴿وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ﴾.

ولم يفصل القرآن سبب تمديد الليالي بعشر أخرى، لتصبح أربعين ليلة، واكتفى بالإشارة إلى أن الله أتمها بعشر، ليتم الميقات أربعين ليلة. ولم يصح عن رسول الله ﷺ كلامٌ عن هذه الليالي الأربعين، وسبب تمديدها، وأحوال موسى عليه السلام فيها. فهي من «مبهمات القرآن». التي لا نجد الدليل الصحيح على بيانها، ولذلك نبقها على إبهامها، ولا نخوض فيها، ونقول بما قال به القرآن، من أن موسى عليه السلام استخلف أخاه هارون عليه السلام على قومه، وأخبرهم أنه سيغيب عنهم ثلاثين ليلة، ولما قاربت تلك الليالي على الانتهاء أتمها الله بعشر ليال أخرى، ليصير المجموع أربعين ليلة!

الله يواعد موسى عليه السلام:

«واعدنا» قراءتان صحيحتان:

الأولى: قراءة أبي عمرو وأبي جعفر ويعقوب: «وعدنا» على أن الفعل ثلاثي، ومعناها أن الوعد من الله لموسى عليه السلام. أي أنه وعده المجيء إلى جبل الطور.

الثانية: قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي

وخلف: «واعدنا» بالألف بعد الواو. على أن الفعل رباعي: «واعد». من المواعدة.

وفي هذه المواعدة قولان:

الأول: المواعدة على ظاهرها. أي أنها مواعدة من الله ومن موسى، فالله وعد موسى عليه السلام أن يعطيه التوراة، وطلب منه المجيء إلى جبل الطور، وموسى عليه السلام وعد ربه المجيء والامتثال وتنفيذ الأمر.

الثاني: لم تكن مواعدة بين الله وبين موسى عليه السلام، وإنما هو وعدٌ مجردٌ من الله فقط، أي أن الله هو الذي وعد موسى المجيء وأمره بذلك. وإدخال الألف على الفعل «واعدنا» لا يدل على المشاركة بالوعد، وإنما يدل على التأكيد والمبالغة في تحقيق الوعد.

وعلى هذا القول يكون معنى «واعدنا»: وعدنا. مثل قولك: عالج الطبيب المريض. فإنه لا يدل على المشاركة، وإنما على التأكيد فقط. ومثل قولك: عافاه الله، فإنه لا يدل على المشاركة أيضاً.

ومما يؤكد ويرجح القول الثاني قراءة أبي جعفر وأبي عمرو ويعقوب: «وعدنا». فتلتقي القراءتان: «وعدنا» و«واعدنا» على تأكيد حقيقة وعد الله لموسى عليه السلام المجيء إلى جبل الطور.

واللطيف في التعبير القرآني أنه أطلق على أمر الله موسى عليه السلام المجيء إلى جبل الطور الوعد أو المواعدة، وليس مجرد الأمر بالمجيء، وذلك لتقرير ما يوحي به الوعد من التبشير بالخير، وتأكيد حصوله ووقوعه، وتفاعل الموعود بالوعد ونشاطه له، وانتظاره له بشوق ورغبة.

وهذا معناه أن موسى عليه السلام ذهب إلى جبل الطور وهو فرح مسرور، وأمضى الليالي الأربعين في عبادة الله وذكره، وهو في غاية النشاط والفرح والحيوية والسرور.

وكيف لا يفرح وينشط ويتفاعل وهو موعودٌ من قبل الله، وذاهبٌ لمناجاته سبحانه، وينتظر الخير والبركة من الله، ويريد أخذ الشريعة التي يحكم بها قومه؟

لقد غادر موسى عليه السلام قومه إلى جبل الطور، وهو في هذه الحالة الإيمانية، والحيوية النفسية، والسعادة الروحية.

بماذا أوصى موسى أخاه هارون؟

والذي يلفت النظر وصيته لخليفته هارون عليه السلام، حيث قال له: ﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢﴾.

إن هذه الوصية تتضمن ثلاثة توجيهات:

الأول: أن يخلفه في قومه. والخلافة تعني النيابة. لقد كان موسى عليه السلام هو الإمام والقائد لبني إسرائيل، فلما اضطر إلى مغادرتهم لم يتركهم بدون قائد، ولذلك استخلف أخاه هارون عليهم. وهذا التصرف من موسى عليه السلام يؤكد أهمية الإمامة والإمارة والخلافة في حياة الأمة، لأن حياة الأمة لا تستقيم إلا بالخلافة والإمارة!

الثاني: أوصاه بالإصلاح، فهي ليست خلافة مجردة مطلقة، ولكنها خلافة مقيدة، خلافة حكم وتطبيق، وتنفيذ لمنهاج وتكليف، إنه مأمور أن يصلح في خلافته، وأن يحسن قيادة وحكم بني إسرائيل.

الثالث: نهاه عن اتباع سبيل وطريق المفسدين، ومع أن هذا يدخل ضمن الأمر بالإصلاح، لأن الإصلاح في الخلافة يستلزم عدم إتباع المفسـدين، إلا أنه نص عليه من باب تأكيد ذلك، والتحذير منه.

وهذا معناه وجود مفسدين بين بني إسـرائيل، مـع أنـهم كـانوا مؤمنـين. وهذا ما ظهر فيما بعد، حيث أفسد السامري بني إسـرائيل في غيبـة موسـى عليه السلام.

(٥)

دك جبل الطور وصعق موسى عليه السلام

ذهب موسى عليه السلام إلى جبل الطور، وأمضى هناك أربعين ليلة، بانتظار تكليم الله له.

ولما انتهت الأربعون ليلة، كلمه الله وهو على جبل الطور بعيداً عن قومه، وسمع موسى عليه السلام كلام الله، فأنس به وفرح له، وشعر بسعادة بالغة، وكيف لا يشعر بذلك وهو يسمع كلام الله.

كلم الله موسى تكليماً:

والقرآن صريح في إثبات تكليم الله لموسى عليه السلام. وذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء:١٦٤].

وهي آية صريحة، لا تحتمل التأويل، فالله سبحانه كلم موسى عليه السلام تكليماً، وسمع موسى عليه السلام كلام الله، وفهمه ووعاه واستوعبه.. وعلينا أن نقول بما قال به القرآن، وأن نثبت ما أثبته القرآن.

ونحن لا نعرف كيف كلم الله موسى عليه السلام، ولا كيف سمع موسى كلام الله وفهمه ووعاه، لأن الله لم يخبرنا بهذه الكيفية، ونحن لم نكن مع موسى عليه السلام على جبل الطور، نسمع معه كلام الله، وموسى عليه السلام لم يخبر كيف كلمه الله، ولا كيف سمع ووعى كلام الله!!

والكلام صفة من صفات الله، والله يكلم من شاء من خلقه، وصور

تكليمه لعباده ثلاثة، مذكورة في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى:٥١].

كلم الله موسى عليه السلام من وراء حجاب مرتين: المرة الأولى عندما كان يسير ليلاً في وادي طوى المقدس، فأبلغه باختياره نبياً ورسولاً، وآتاه آية العصا واليد، وأمره بالذهاب إلى فرعون.. والمرة الثانية وهو على جبل الطور بعد الأربعين ليلة.

موسى يطلب أن يرى الله:

ولما سمع موسى عليه السلام كلام الله طمع في أن يراه. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف:١٤٣].

تتحدث الآية عن مشهد دك جبل الطور، وصعق موسى لما تجلى الله للجبل سبحانه!

«لما» حرف شرط، ويدل على الزمان الماضي، وفعل الشرط: «جاء موسى لميقاتنا»، وجملة «وكلمه ربه» معطوفة على فعل الشرط، وجواب الشرط جملة: «قال رب أرني أنظر إليك».

واللام في «لميقاتنا» لام الوقت، والميقات هو الموعد الذي واعد الله موسى عليه السلام عند جبل الطور.

يخبرنا الله سبحانه أن موسى عليه السلام جاء في الوقت الذي حدده الله له، وذلك بعد أربعين ليلة، وعندما جاء كلمه الله سبحانه كلاماً واضحاً، سمعه موسى عليه السلام ووعاه.. ونحن لا نعرف كيف كلمه الله، فنثبت تكليم الله له، ونسلم بعجزنا عن معرفة الكيفية، ولا «نبدد» طاقتنا العقلية، فنجعلها تخوض في ما لم تهيأ له!!

وقد سعد موسى عليه السلام بتكليم الله، واستشرفت نفسه أن يرى الله، وظن أنه من الممكن أن يرى الله، لأنه استصحب معه سماعه لكلام الله.

ومعلوم عند البشر أنه إذا جمع الإنسان بين سماعه لكلام إنسان آخر، ورؤيته له، فإن هذا يكون أكثر متعة وأنساً وفرحاً وسروراً.

وموسى عليه السلام أراد أن يحقق هذا الأنس والسرور، وظنّ أنه من الممكن أن يرى الله، لأنه يسمع كلام الله، ولذلك قال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾!

«أرني»: فعل أمر، الماضي منه «أرى» تقول: أرى، يُري، أره، ومعنى الفعل: جعل غيره يرى. و«أَنْظُرْ»: مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب المتمثل في فعل الأمر: «أرني».

والمعنى: رب اسمح لي أن أراك، ودعني أنظر إليك.

لا يمكن لبشر أن يرى الله في الدنيا:

وأجاب الله موسى عليه السلام بقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾. أي: لا يمكن أن تراني. و«لن» تدل على النفي المؤبد في الدنيا.

وتدل هذه الجملة: «لن تراني» على أن الله لا يُمكن أن يراه أحد من البشر في هذه الدنيا، فموسى عليه السلام رسولٌ مفضّل عند الله، اصطفاه الله واختاره، وأسمعه كلامه، ولو كان من الممكن أن يراه بشر في الدنيا لجعل هذا لموسى كليمه عليه السلام.

ورسولنا محمد ﷺ أفضل الخلق عند الله، ومع ذلك لم يرَ ربه ليلة المعراج. ولما سئل ﷺ: هل رأيت ربك ليلة المعراج؟ قال: نورٌ أنّى أراه!

ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها: مَنْ زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه ليلة المعراج فقد أعظم على الله الفرية.

وإذا كانت رؤية البشر لربهم في الدنيا منفية، فإن المؤمنين يرون ربّهم في الجنة، وعلى هذا آيات القرآن، وأحاديث رسول الله ﷺ، وفي مقدمتها قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

دك جبل الطور لما تجلى الله له:

وبعد ما أخبر الله موسى عليه السلام أنه لا يمكن أن يراه في الدنيا، أراد أن يقدم له الدليل على ذلك، فقال له: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾.

المراد بالجبل جبل الطور. فإن أطاق الجبل تجلي الله له، واستقر مكانه فسوف يرى موسى عليه السلام ربه، وإن لم يطق الجبل التجلي الرباني ولم يستقر مكانه. فمعناه أنه لا يمكن لمخلوق على الأرض أن يرى الله!

وتجلى الله سبحانه للجبل، ولم يطق الجبل هذا التجلي، ولم يستقر مكانه، وجعله الله دكاً: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا..﴾.

«لما» شرط مع ظرف، و«تجلى ربه للجبل»: فعل الشرط، و«جعله دكا»: جواب الشرط.

والتجلي هو الظهور. قال تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢..﴾ [الليل:١-٢]. أي: النهار إذا ظهر. وظهوره بانتشار ضياء الشمس.

وقال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣﴾ [الشمس:١-٣]. أي: النهار إذا أظهر الشمس.

تجلى الله للجبل تجلياً ربانياً خاصاً، وهو تجل يليق بعظمة الله وجلاله، وليس كتجلي المخلوقين القائم على الظهور المادي الحسي، ونحن لا نعرف كيف كان ذلك التجلي الرباني.

المهم أن الجبل لم يطق ذلك التجلي الرباني، ولم يستقر مكانه، فما أن تجلى الله له بعظمته حتى دك دكاً، والدّك هو الدق والانهيار والهدم، فكلمة «دكاً» مصدر بمعنى اسم المفعول أي: جعله مدكوكاً مهدوماً.

ماذا قال موسى بعد إفاقته من الصعق؟

وأثر دك الجبل على موسى عليه السلام بحيث خر مصعوقاً، وسقط على الأرض مغشياً عليه. والصعق هو سقوط الإنسان على الأرض، وفقدانه الوعي، بسبب الشيء الذي صعقه وأسقطه وأفقده وعيه. و«صعقاً» -مثل «دكا»- مصدر بمعنى اسم المفعول.

لم يحتمل موسى المنظر، ولم يقدر على أن يبقى منتبهاً بينما يدك الجبل أمامه، ولذلك صعق وخر مغشياً عليه.

وبهذا أقيم الدليل على أن موسى عليه السلام لا يمكن أن يرى الله بعينيه، فإذا كان لا يطيق ولا يحتمل تجلى الله للجبل، فكيف يحتمل تجلي الله له؟ وكيف يقدر على أن يرى الله بعينيه؟

وعرف موسى عليه السلام هذه الحقيقة بعد إفاقته: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾.

وهذه هي المرة الثالثة التي ذكرت فيها «لما» الشرطية الظرفية. فعل الشرط: «أفاق» وجواب الشرط: ﴿قَالَ سُبۡحَٰنَكَ..﴾.

كان أول ما قاله موسى عليه السلام بعد إفاقته من غشيته، واسترداد وعيه أن نزه الله وسبحه، وأبعد عنه كل نقص، وكأن ظن إمكانية رؤية البشر له في الدنيا نقص، لابد أن ينزه الله سبحانه عنه.

وأعلن موسى عليه السلام عن توبته لله، واستغفاره عن طلبه أن يراه،

مع أن موسى عليه السلام لم يخطئ عندما طلب ذلك الطلب، لأنه لم يكن يعرف أن الله لا يمكن أن يرى في الدنيا، ومع ذلك شعر بالتقصير في حق الله، فأعلن توبته له!!

واعتبر موسى عليه السلام نفسه بأنه أول المؤمنين بالله من قومه، وأول المؤمنين بأن الله لا يمكن أن يرى في الدنيا، بعد أن رأى الدليل العملي على ذلك.

وهو أول المؤمنين بالله من قومه. لأنه نبيهم ورسولهم، وقائدهم وقدوتهم وإمامهم، وهذا يدل على أنه أفضل من أخيه هارون، لأنه نبي رسول، وهارون نبي فقط، عليهما الصلاة والسلام.

(٦)

موسى عليه السلام يتلقى ألواح التوراة

بعد ما أفاق موسى عليه السلام من غشيته وصعقته، وأعلن توبته قائلاً: ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أخبره الله أنه اصطفاه واختاره، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأعراف:١٤٤].

الله اصطفى موسى على الناس:

والاصطفاء هو الاختيار، ويتحقق فيه معنى الصفو الخالص، والصفاء النقي. وقد اصطفى الله رسله من بين خلقه، وفضلهم على باقي عباده. وتعدى فعل «اصطفيتك» إلى ما بعده بحرف: «على» لأنه ضمن معنى «فضلتك». أي: فضلتك على الناس برسالتي، وجعلتك رسولاً.

وهذا يدل على أن موسى أفضل من أخيه هارون عليهما السلام، لأن هارون داخل ضمن «الناس» في الآية، ولأنه مجرد نبيٍّ ووزير لأخيه، عليهما السلام.

و«رسالاتي» جمع، لأن المراد بها موضوعات رسالة موسى عليه السلام وشريعته، وهي موضوعات عديدة، تشمل العقيدة والشريعة والأخلاق والتاريخ وغير ذلك.

وفضّل الله موسى عليه السلام بكلامه، حيث كلمه مرتين من وراء حجاب: مرة وهو في الوادي المقدس متوجه إلى مصر، وفي هذه المرة وهو على جبل الطور. ولهذا وصف موسى عليه السلام بأنه «كليم الله».

وشاركه في هذه الصفة نبينا محمد ﷺ، حيث كلمه الله أيضاً تكليماً، في ليلة المعراج، فمحمد ﷺ «كليم الله» أيضاً. ومعلومٌ أن محمداً أفضل عند الله من موسى عليهما الصلاة السلام.

وإخبار الله لموسى عليه السلام أنه اصطفاه وفضله على الناس برسالاته وبكلامه زاد من سعادة وسرور موسى عليه السلام، ومحبته لله، وحرصه على ذكره وشكره.

وطلب الله منه أن يأخذ ما آتاه من الأحكام والتشريعات، وأن يلتزم بها، كما طلب منه أن يشكره على ما أنعم به عليه: ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٤٤﴾. والمؤمن يقابل فضل الله وإنعامه عليه بمزيد من الذكر والحمد والثناء والشكر، وكلما زاد شكراً لله زاد الله إنعامه عليه. قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧].

إنزال ألواح التوراة على موسى وهو على جبل الطور:

وفي ذلك الجوّ العظيم أنزل الله على موسى عليه السلام الألواح في السماء، وقد كتب عليها كلام الله إليه. قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝١٤٥﴾ [الأعراف:١٤٥].

وهذه الآية تفصيل لقوله تعالى في الآية السابقة: ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾. أي: خذ الذي آتيتك. وهو كتابه الذي أنزله إليه، مكتوباً على «الألواح»، ولذلك أخبر أنه كتب لموسى عليه السلام شرعه في الألواح.

إن قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ نصٌ في أن الله آتاه الألواح، وهو على جبل الطور، وأنه كتب في تلك الألواح كتابه إليه.

وإذا كنا نؤمن أن التوراة كتاب الله، أنزله على موسى عليه السلام، فإن هذه الآية دليلٌ على أن ابتداء إنزال التوراة عليه كان في ذلك المكان المبارك، وأنّ التوراة كتبت في السماء، وأن الألواح التي كتبت عليها تلقاها موسى عليه السلام!

و«الألواح» في الآية جمع «لوح». واللوح قد يكون حجراً، وقد يكون قطعة من الخشب، وقد يكتب عليه كلام، وقد لا يكتب.

وقد ذكرت «الألواح» أربع مرات في القرآن. ثلاث مرات في سياق الحديث عن تلقي موسى عليه السلام الألواح وهو على جبل الطور، وقد ذكرت المرات الثلاث في سورة الأعراف، وفي آيات متقاربة [١٤٥، ١٥٠، ١٥٤].

والمرة الرابعة جاءت في وصف سفينة نوح عليه السلام. وذلك في قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾ [القمر:١٣].

والدسر هي: المسامير التي تثبت بها الألواح. وقد صنعت السفينة من ألواح خشبية، مثبتة بالمسامير.

الألواح مبهمة مجملة:

ولم يبين القرآن طبيعة الألواح التي تلقها موسى عليه السلام وهو على جبل الطور، ولا يوجد أمامنا إلا هذه الجملة، التي تذكر «الألواح» ذكراً مجملاً: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾.

وتدل الكلمة «الألواح» على أنها كانت عدداً من الألواح، لأن الكلمة جمع، ولكننا لا يمكن أن نعرف عددها، كما أننا لا نعرف أحجامها ولا مقاساتها ولا تفاصيلها!

ولا يضيرنا عدم العلم بذلك، ولو كان في العلم بهذه التفاصيل فائدة لنا لذكرها الله لنا، ونحن مأمورون أن نبقى مع القرآن، وما صحّ من حديث رسول الله ﷺ. وقد تكلمت أسفارُ العهد القديم -وبالذات سفر الخروج- بالتفصيل عن تلك الألواح، وذهب بعض المسلمين إليها، ونقلوا كلامها، وهذا خطأ منهجي جذري وقع به هؤلاء المسلمون، فنحن مأمورون بعدم تصديق الإسرائيليات وعدم تكذيبها، والتوقف فيها يعني السكوت عنها وعدم اعتمادها، وإن ذكرت فمن أجل الدعوة إلى عدم قبولها، وعدم تفسير القرآن بها، وإنما من أجل الدعوة إلى التوقف فيها!

وقد أخبرنا الله عن ما كتبه الله لموسى عليه السلام في ألواح التوراة بجملة: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾.

وسنتحدث عن معنى هذه الآية عند حديثنا عن مضامين التوراة في المباحث القادمة بعون الله.

إذن: أنزل الله التوراة على موسى عليه السلام، في ذلك اليوم المبارك، على جبل الطور المقدس، وكانت مكتوبة في السماء، وليس على الأرض، وكانت الألواح نازلةً من السماء، وليست ألواحاً من الأرض، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٤٤ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ..﴾.

ولا نتكلم عن موضوع «ألواح التوراة» النازلة من السماء أكثر من هذا، حتى لا نذهب إلى الإسرائيليات والأساطير، فنكتفي بهذا. والله تعالى أعلم.

ونذكّر في هذا المقام بإنزال القرآن على رسولنا محمدٍ ﷺ، وندعو إلى ملاحظة الفرق بين إنزال التوراة وإنزال القرآن، فبينما كتبت التوراة في السماء، وأنزلت الألواح من السماء، وكان لموسى عليه السلام حملها إلى قومه، أنزل جبريل عليه السلام بالآيات من القرآن، وكان الرسول ﷺ يحفظها ويعيها، ثم يبلغها لكتبة الوحي من الصحابة، الذين يحفظونها، ثم يكتبونها على أدوات الكتابة الميسرة لهم! وفي هذا إشارة إلى فضل هذه الأمة ومنزلتها عند الله!

(٧)

عودة موسى بألواح التوراة إلى قومه

بعدما تلقى موسى عليه السلام ألواح التوراة على جبل الطور، أخبره الله بضلال قومه في غيبته، وعبادتهم العجل. قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾..﴾ [طه:٨٥].

وغضب موسى على قومه وهو ما زال على جبل الطور، وأصابه الحزن والأسى، فقد ترك فيهم أخاه النبي هارون عليه السلام، فكيف يضلون ويعبدون العجل، ولا يستجيبون له.

ليس الخبر كالمعاينة:

وعاد إليهم وهو غضبان أسف عليهم، وكان يحمل معه ألواح التوراة ولما وصلهم ألقى ألواح التوراة التي كان يحملها.

روى أحمد في المسند عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الخبر كالمعاينة، إن الله عز وجل أخبر موسى بما صنع قومه في العجل، فلم يلق الألواح، فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح»[1].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١: ٢٧١. وانظر صحيح الجامع الصغير للشيخ الألباني رقم: ٥٣٧٤. وجامع التفسير من كتب الحديث رقم: ٨٣١. والتفسير الصحيح للدكتور حكمت بشير ٢: ٣٥٠.

يخبرنا رسول الله ﷺ أن تأثير الخبر على الإنسان أقل من تأثير المشاهدة والمعاينة. فإذا رأى الإنسان ما أخبر عنه كان أكثر تأثراً: «ليس الخبر كالمعاينة»..

وضرب ﷺ مثالاً على ذلك ما حصل لموسى عليه السلام، فلما أخبره الله وهو على جبل الطور أن قومه عبدوا العجل حزن وتألم، ولكنه لم يفعل شيئاً، فلما وصل قومه، ووجدهم يعبدون العجل، ازداد تأثره وغضبه، وألقى الألواح على الأرض.

وقد أخبر الله عن ما فعله موسى عليه السلام مع قومه، بعدما رجع إليهم. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف:١٥٠-١٥١].

وقال تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى

ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾..»

[طه:٨٦-٩٤].

رجع موسى عليه السلام إلى قومه غضبان أسفاً، والأسف هو الغضب الشديد مع الحزن والألم، وعنّف قومه قائلاً: «بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ» وقائلاً: «يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾»؟.

موسى يلقي الألواح ويلوم أخاه هارون:

ومن شدة غضبه وأسفه على جريمة قومه أنه ألقى الألواح التي أتى بها معه، وطرحها على الأرض.

وفي رواية أخرى للحديث الذي أوردناه قبل قليل عن رسول الله ﷺ أنه

قال: «ليس الخبر كالمعاينة، إن الله عز وجل أخبر موسى بما صنع قومه في العجل، فلم يلق الألواح، فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح، فانكسرت»!

وإلقاؤه عليه السلام للألواح بسبب قوة تأثره وانفعاله، وغضبه وأسفه، وهو لم يرتكب معصية أو مخالفة بسبب غضبه وإلقائه الألواح، فغضب المؤمن إذا انتهكت حرمات الله محمود مطلوب، فما بالك إذا كانت المخالفة شركاً بالله وعبادةً لغيره!!

وسارع موسى عليه السلام إلى لوم أخيه هارون عليه السلام وتعنيفه، واستعمل معه أسلوباً عملياً، حيث كان يأخذ بلحيته أحياناً، ويأخذ برأسه أحيانا، يشد شعره، في شبه عقاب له. مما دفع هارون عليه السلام إلى أن يستعطفه قائلاً: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾ و: ﴿ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وبعد ذلك صفح موسى عن أخيه عليهما السلام، لأنه علم أنه نهاهم وأنكر عليهم، ولكنهم لم يسمعوا له: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾.

ودعا موسى ربه له ولأخيه. قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾..﴾.

وبعد ما عنّف موسى عليه السلام عابدي العجل من قومه، وسأل السامري عن ما جرى، دمّر العجل الذي صنعه وحرقه ونسفه في اليم، وعاقب السامري بأن عزله عن قومه، وطرده بعيداً، بعد ذلك أخذ الألواح، وبلغ قومه ما فيها. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الأعراف:١٥٤].

موسى يأخذ الألواح بعد سكوت الغضب عنه:

واللطيف في التعبير القرآني أنه عبّر عن زوال الغضب بقوله: ﴿سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾. فهل الغضب إنسان يتكلم ثم يسكت؟

هذا تعبير على أساس «التصوير» بحيث يتخيل المسلم صورة متخيلة مصورة حية عندما يقرأ أو يسمع الآية المصورة من القرآن، ويعمل فيها خياله.

صيغت الآية على طريقة التصوير بالتشخيص، والتشخيص هو «خلع الحياة على المعنويات والجمادات» حيث تعرض كأنها أشخاص أحياء يتحركون ويتكلمون.

الغضب أمر معنوي، لا يجسّم ولا يلمس، لكنه في الآية معروض بصورة إنسان حي، يقف بجانب موسى عليه السلام ويكلمه، ويدفعه إلى أن يتأثر وينفعل، ويتصرف بشدة وعنف، وكأنه يقول له: اعمل كذا، واعمل كذا،

وعاقب فلاناً، وذم فلاناً! وكان موسى عليه السلام يستجيب لهذا الشخص الذي بجانبه، ويدفعه إلى أن يقوم بما قام به، ويقول ما قاله.

وبعد ذلك يسكت هذا الإنسان الواقف بجانبه، الذي اسمه «غضب»، وبذلك يزول انفعال وتأثر موسى عليه السلام، وتهدأ نفسه ومشاعره: «ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح».

وهكذا تلقى موسى عليه السلام التوراة، مكتوبة على ألواح في السماء، وبلغها لقومه، ودعاهم إلى الالتزام بها وتطبيق أحكامها..

(٨)

التوراة كلمة أعجمية

القائلون بأن التوراة كلمة عربية مشتقة:

انقسم المفسرون واللغويون في النظر إلى كلمة «التوراة» إلى قسمين:

الفريق الأول: ذهبوا إلى أن «التوراة» كلمة عربية مشتقة، وليست اسماً أعجمياً.

قال الإمام الراغب الأصفهاني: «التوراة: التاء فيه مقلوب. وأصله من «الوري». وبناؤها عند الكوفيين: «ووراة»، على وزن: «تَفْعِلَة».. وقال بعضهم: هي «تَفْعَلَة»، نحو: تَنْفَلَة. وليس في كلامهم «تَفْعِلَة» اسماً. وعند البصريين: هي على وزن: «وَوْرَيَة»، هي «فَوْعَلَة». نحو: «حَوْصَلَة»[1].

يرى الإمام الراغب الأصفهاني أن «التوراة» كلمة عربية مشتقة، جذرها الثلاثي: «وَرْيٌ». والوَرْيُ في اللغة قدحُ الزَّنْد، ليخرج منه الشرر.

واشتقت «التوراة» من الوَرْي، لأنَّ فيها الضياء والنور، وهي بهذا تشابه الشرر والنور الذي يخرج من الورى عند قدح الزند..

وذهب آخرون إلى أن التوراة مشتقة من «التورية». وفعلها الماضي

(١) المفردات: ١٦٨.

رباعي: «وَرّى». يقال: ورّى فلان في كلامه. أي: لم يصرح فيه، وإنما استخدم أسلوب التعريض. وسُميت التوراة بذلك لأن معظمها معاريض.

وقد ذكر هذين القولين في اشتقاق التوراة الإمام السمين الحلبي. قال في تفسيره: «القائلون باشتقاق التوراة اختلفوا:

فقال بعضهم: التوراة مشتقة من قولهم: وَرِيَ الزند: إذا قُدح فظهر منه النار.. ولما كانت التوراة فيها ضياء ونور، يخرج به من الضلال إلى الهدى، كما يُخرج بالنور من الظلمات إلى النور، سمي هذا الكتاب: «التوراة». وهذا هو قول الفراء. وهو مذهب جمهور الناس.

وقال آخرون: بل هي مشتقة من: «ورَّيت في كلامي» من التورية، وهي: التعريض. وسميت التوراة بذلك لأن أكثرها تلويحات ومعاريض.. وإلى هذا ذهب المؤرج السدوسي وجماعة.

وفي وزنها ثلاثة أقوال:

الأول: وزنها «فَوْعَلة». مثل: الدوسرة والصومعة. أصلها: وورية. فأبدلت الواو الأولى تاء للتسهيل، فصارت: تورية. ولما تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، فصارت «توراة».

الثاني: وزنها: «تفعلَة». أصلها: تورِية. فأبدلت كسرة الراء فتحة للتخفيف، فصارت: «تورَية». وقلبت الياء ألفاً بسبب تحركها وانفتاح ما قبلها، فصارت: توراة.

الثالث: وزنها: «تَفْعِلَة». أصلها: تورية. فقلبت الياء ألفاً، بسبب تحركها وانفتاح ما قبلها، فصارت: توراة»[١].

ويرى أصحاب المعجم الوسيط أن التوراة مشتقة من الجذر الثلاثي: تور. قالوا: «تارَ الماءُ، يَتورُ، تَوْراً. إذا جرى.. وأتارَ إليه الرَّمْي: أعادهُ مرةً بعد أخرى.. وتاوَرَه: أعاده مرة بعد أخرى.. والتّارة: المدَّةُ والحين. و: التَّورُ: الرسولُ بين القوم.. والتَّوْرَةُ: الجاريةُ تُرسل بين العُشّاق. و: التوراةُ: الكتاب المُنزَّلُ على موسى عليه السلام. وهي عندَ أهل الكتاب: أسفار موسى الخمسة. وعند النصارى: العهدُ القديم..»[٢].

القائلون بأن التوراة كلمة أعجمية:

الفريق الثاني: ذهبوا إلى أنّ «التوراة» كلمة أعجمية، وليست عربية مشتقة، سُمّي بها كتابُ الله النازل على موسى عليه السلام.

قال الإمام محمد الطاهر بن عاشور: «التوراة: اسم للكتاب المنزل على موسى عليه السلام. وهو اسم عبراني، أصلة «طورا»، بمعنى: الهدى.. والظاهر أنه اسم للألواح التي فيها الكلمات العشر، التي نزلت على موسى عليه السلام على جبل الطور، لأنها أصل الشريعة التي جاءت في كتب موسى، فأطلق ذلك الاسمُ على جميع كتب موسى. واليهود يقولون: سفر

(١) تفسير الدر المصون للسمين الحلبي ٣: ١٧-١٩. باختصار.

(٢) المعجم الوسيط: ٩٠.

طورا.. فلما دخل هذا الاسم إلى العربية أدخلوا عليه لام التعريف، التي تدخل على الأوصاف والنكرات لتصير أعلاماً بالغلبة مثل: العقبة.

ومن أهل اللغة والتفسير من حاولوا توجيهاً لاشتقاقه اشتقاقاً عربياً، فقالوا: إنه مشتق من الوَرْي، وهو الوَقْدُ، بوزن: «تَفْعَلَه» أو «فَوْعَلَه». وربما أقدمهم على ذلك دخولُ حرف التعريف عليه، وهو لا يدخل على الأسماء الأعجمية.

وأجيب بأنه لا مانع من دخول أل التعريف على المعرَّب، كما قالوا: الإسكندرية.

وهذا جواب غيرُ صحيح، لأن الإسكندرية وزن عربي، لأنها منسوبة إلى الإسكندر.. فالوجه في الجواب أنه إنما ألزم التعريف لأنه معربٌ عن اسم بمعنى الوصف اسم علم، فلما عرّبوه ألزموه اللام لذلك»[1].

الراجح أنها كلمة أعجمية:

والراجح هو ما قاله الفريق الثاني، من أنَّ «التوراة» اسم علمٍ أعجمي، وليس عربياً مشتقاً، فلا نبحث له عن مادة اشتقاق في اللغة العربية. وما زعموه من اشتقاقه من: «وَرَى» أو«تارَ» كلامٌ مرجوحٌ مردود.

وإدخال أل التعريف على «التوراة» لا يمنع كونها اسماً أعجمياً، لأنها

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ٣: ١٤٨.

بهذا التعريف تحولت من الوصف إلى العَلَمية، وصارت خاصة بالكتاب الذي أنزله الله على موسى عليه السلام، فلا يُسمّى بها غيره، ولا تطلق على غيره.

وأطلقت التوراة عند أهل الكتاب على شيئين:

الأول: الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم: التكوين، والخروج، واللاّويون، والعدد، والتثنية. والتي زعموا أن الله كتبها على الألواح في السماء، وأنزلها على موسى عليه السلام وهو على جبل الطور. وتُسمى: «الوصايا العشر»، كما أنها تسمى عند بعضهم: «الناموس».

الثاني: جميع أسفار العهد القديم: وهي عند الكاثوليك ستة وأربعون سفراً، ويزعمون أن الله أنزلها على أنبياء ورسل بني إسرائيل، وأنها كلها كلام الله. فالتوراة بهذا الإطلاق مرادفةٌ للعهد القديم.

ولعل كلمة «التوراة» العبرية الأعجمية مرتبطة بكلمة «الطور»، الجبل الذي أنزل الله التوراة على موسى عليه السلام، هو واقفٌ عليه. ولعلّ «الطور» حُوّل إلى «طُورا»، ثم إلى «توراة» بعد تعريب تلك الكلمة، فهي مأخوذة من «الطور» الذي أنزلت عليه!

(٩)

ورود التوراة في القرآن

«التوراة» كلمة من كلمات القرآن. وقد وردت فيه ثماني عشرة مرة، في سور مكية ومدنية:

وردت ست مرات في سورة آل عمران، وسبع مرات في سورة المائدة، ومرة واحدة في سور: الأعراف والتوبة والفتح والصف والجمعة.

ويلاحظ أنها وردت في القرآن المكي مرة، وذلك في سورة الأعراف، وفي سياق الإخبار عن صفات الرسول الخاتم ﷺ، الذي كتبت صفاته في التوراة والإنجيل، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ..﴾ [الأعراف:١٥٧].

والمرات الأخرى، السبع عشرة وردت في سور مدنية. لأنه لم يكن يهودٌ في مكة، فلم يكن صراعٌ بين الرسول ﷺ وبين اليهود فيها!

التوراة في سور الصف والجمعة والفتح والتوبة:

وردت «التوراة» في سورة الصف، في سياق الإخبار عن ما قاله عيسى عليه السلام لبني إسرائيل. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦].

ووردت في سورة الجمعة، في سياق ذم اليهود الذين لم يحملوا التوراة، ولم يلتزموا بما فيها، وشبهتهم بالحمار، في عدم الانتفاع بما يحمل على ظهره. قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة:٥].

ووردت في سورة الفتح، في سياق الحديث عن أصحاب رسول الله ﷺ، وذكر مثل لهم في التوراة، ومثل آخر لهم في الإنجيل. قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ﴾ [الفتح:٢٩].

ووردت في سورة التوبة في سياق الحديث عن ما أعدّ الله للمؤمنين المجاهدين الذين باعوا أنفسهم وأموالهم لله. قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ..﴾ [التوبة:١١١].

التوراة في سورة آل عمران:

وردت في سورة آل عمران ست مرات، كما يلي:

١. أخبر الله عن إنزال القرآن كإنزال التوراة والإنجيل، فالكتب الثلاثة من كلام الله الذي أنزله على رسله. قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ ..﴾ [آل عمران:١-٤].

٢. أخبر الله أنه سيبعث عيسى عليه السلام نبياً رسولاً، وسيعلمه التوراة والإنجيل. قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٧ وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٤٨﴾ [آل عمران:٤٧-٤٨].

٣. لما بعث الله عيسى عليه السلام رسولاً إلى بني إسرائيل، قدم نفسه إليهم، وأخبرنا الله عن ما قاله لهم. قال تعالى: ﴿..وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝٥٠﴾ [آل عمران:٥٠].

٤. كذّب الله أهل الكتاب من اليهود والنصارى في زعمهم الانتساب إلى إبراهيم عليه السلام، وذكرهم بأن التوراة والإنجيل أنزلا من بعده، وخاطبهم بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٦٥﴾ [آل عمران:٦٥].

٥. و ٦. كذّب الله اليهود في مزاعمهم في التحليل والتحريم، وذكرهم بأنه أباح لهم كل الطعام، إلا الطعام الذي حرمه يعقوب على نفسه، وكان هذا قبل إنزال التوراة، وطالبهم بإحضار التوراة واستخراج هذا الحكم منها، وهم لا يقدرون على إحضارها. قال تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾..﴾ [آل عمران:٩٣].

ويلاحظ أن التوراة ذكرت في هذه الآية مرتين، وفيها التحدي لليهود في المدينة بإحضار التوراة، وتقديمها للرسول ﷺ، وإظهار ما يزعمونه من الأحكام فيها، وهم لم يفعلوا ذلك، لأنهم أضاعوها من قرونٍ عديدة، فكيف يأتون بها؟؟.

التوراة في سورة المائدة:

أما سورة المائدة فقد ذكرت فيها التوراة سبع مرات، وكانت كما يلي:

١. ينكر الله على اليهود في المدينة تحاكمهم إلى رسول الله ﷺ مع أن التوراة عندهم، فلماذا لا ينفذون أحكامها. قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المائدة:٤٣].

٢. أخبر الله أنه أنزل التوراة، وذكر بعض صفاتها وأحكامها. قال تعالى:

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ﴾ [المائدة:٤٤].

٣. و٤. أخبر الله أنه أرسل عيسى عليه السلام رسولاً إلى بني إسرائيل، وأن الإنجيل الذي أنزل عليه مصدق للتوراة التي قبله. قال تعالى: ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المائدة:٤٦].

٥. يذم الله أهل الكتاب من اليهود والنصارى، لأنهم لم يطبقوا ما أنزل الله إليهم من التوراة والإنجيل، فلو آمنوا واتقوا وأقاموا التوراة والإنجيل لأغناهم الله. قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ..﴾ [المائدة:٦٥-٦٦].

٦. أمر الله رسوله ﷺ أن يصارح اليهود والنصارى بأنهم لن يكونوا على شيء، إلا إذا أقاموا التوراة والإنجيل، وما أنزل إليهم من ربهم. وإقامة تلك الكتب الربانية معناها الدخول في الإسلام.. قال تعالى: ﴿قُلۡ

يَـٰٓأَهْـلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْـرًا﴾ [المائدة:٦٨].

٧.يَمْتَنّ الله على عيسى عليه السلام يوم القيامة، بنعم عديدة أنعم بها عليه في الدنيا، منها أنه علمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل. قال تعـالى: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ..﴾ [المائدة:١١٠].

(١٠)

من أوصاف التوراة في القرآن

وصف القرآن التوراة بصفات إيجابية، حيث مدحها وأثنى عليها، واعترف بفضلها، وهذا أمر طبيعي، لأن القرآن من عند الله، والتوراة أيضاً من عند الله، أنزلها على عبده موسى عليه السلام، ولذلك أثنى كلام الله اللاحق على كلام الله السابق، وجاء القرآن مصدقاً للتوراة، بهذا الاعتبار.

وننظر في ما يلي في الآيات القرآنية التي وصفت التوراة بصفات إيجابية:

أوصاف التوراة في سورة الأعراف:

أولاً: قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأعراف:١٤٥].

هذه الآية مرتبطة بالآيات السابقة، التي تحدثت عن دكّ جبل الطور، وصعق موسى عليه السلام، عندما تجلى الله للجبل، ثم أنزل عليه التوراة في الألواح. وقد تحدثنا عن تلك الآيات في المباحث السابقة.

وتُثني هذه الآية على التوراة التي كتبها الله لموسى عليه السلام، حيث أخبر الله فيها أنه كتب لموسى عليه السلام في الألواح «من كل شي»، وجعلها ﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ وطالبَ قومه أن ﴿يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾.

وشبه الجملة «من كل شيء» في محل نصب مفعول به لفعل «كتبنا» على الراجح، والتقدير: كتبنا له في الألواح بعض الأحكام، التي يحتاجها بنو إسرائيل في حياتهم.

و«كل شيء» عامةٌ في ظاهرها، لكن يُراد بها الخصوص، والتقدير: كتبنا له في الألواح من كل شيء يحتاجه بنو إسرائيل من الأحكام والتشريعات.

والخصوص في «كل شيء» هنا، كالخصوص في الحديث عن تدمير الريح التي أرسلها الله على قوم عاد، وذلك في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف:٢٤-٢٥].

فلم تُدمِّر تلك الريح كل شيء على الأرض، إنما دمرت كل شيء أمرت بتدميره، مما يتعلق بقوم عاد.

وفيما يتعلق بالمكتوب في ألواح التوراة، كان «كل شيء» يتعلق ببني إسرائيل وحياتهم وعبادتهم وأحكامهم وتشريعاتهم.

ثم وصف الله المكتوب في ألواح التوراة بقوله: ﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ والراجح أنَّ «موعظة» منصوبة، لأنها بدل من شبه الجملة: «من كل شيء» التي هي في محل نصب مفعول به. والتقدر: كتبنا له في الألواح أحكاماً موعظةً وتفصيلاً.

ثلاث صفات للتوراة في الآية:

وصف الله أحكام التوراة بصفات ثلاث:

الأولى: أنها «موعظة» من الوعظ، وهو النصح والتذكير، والتخويف من العذاب، والتحذير من الذُّنوب. وفي التوراة نصوصٌ فيها الوعظ والتحذير، لتربية بني إسرائيل وتزكيتهم وتهذيبهم.

الثانية: أنها «تفصيل لكل شيء»: أي أنها مفصلة مبيّنة واضحة، لا لبس فيها ولا غموض ولا إبهام. لأن الله يريد أن يفهمها ويعيشها بنو إسرائيل، فلو لم تكن مفصلة لما أمكن لهم معرفتها!

وهي تفصيل لكل شيء أراد الله تفصيله وبيانه، فالعموم في قوله ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ يراد له الخصوص، كما هو في الجملة السابقة: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾.

الثالثة: أنها «حسنة» فالله أمر موسى عليه السلام أن يأخذ الألواح وما فيها بقوة: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ والأخذ بمعنى التطبيق والالتزام، والمرادُ بالقوة هنا قوة العزيمة والهمة والإرادة، التي تؤدي إلى التنفيذ والأداء.

وطلب منه أن يأمر قومه بأن يأخذوا بأحسنها: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾.

وأفعل التفضيل هنا «بأحسنها» ليس على ظاهره، ولا يدلُّ على أن بعض أحكام التوراة حسنٌ وبعضها أحسن، لأنها كلها على مستوى عالٍ من الحسن، باعتبارها من عند الله، ولا ينقسم شرعُ الله إلى حسن وأحسن، لأنه كله في مرتبة الأحسن.

ومعنى الجملة: «وأمر قومك يأخذوا بأحسنها»: وأمرهم أن يأخذوا بها كلها، لأنها هي الأحسن.

ابن عاشور يبين معنى «الأحسن» في الآية:

قال الإمام ابن عاشور في تفسيره: قوله: ﴿بأحسنها﴾: وصفٌ مسلوب المفاضلة، مقصود به المبالغة في الحسن. فإضافتها إلى ضمير الألواح على معنى اللام، أي: بالأحسن الذي هو لها، وهو جميع ما فيها.. لظهور أن ما فيها من الشرائع ليس بينه تفاضل بين أحسن ودون الأحسن، بل كله مرتبة واحدة فيما عين له، ولظهور أنهم لا يؤمنون بالأخذ ببعض الشريعة وترك بعضها، ولأن الشريعة مفصل فيها مراتب الأعمال.. وقرائن سلب صيغة التفضيل عن المفاضلة قائمة واضحة.. وهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر:٥٥]. ومعنى الآية: «وأمر قومك يأخذوا بما فيها لحسنها..»(١).

خلاصة أوصاف التوراة في الآية: هي موعظة، ومفصّلة لكل شيء، وشاملة لحاجات بني إسرائيل، وحسنة فاضلة.

أوصاف التوراة في سورة الأنبياء:

ثانياً: قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ

(١) تفسير ابن عاشور ٩: ١١.

وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنبياء:٤٨-٤٩].

آتى الله موسى عليه السلام التوراة، فهو رسولٌ نبي، وهارون نبي ووزير ومساعدٌ له عليه السلام، وعُطف «هارون» على «موسى» في الآية لهذا الاعتبار.

ووصف الله التوراة في الآية بثلاث صفات:

الأولى: أنها فرقان. والفرقان من التفريق بين الحق والباطل، وكل كتب الله النازلة على رسله فرقانٌ لهذا المعنى.

والقرآنُ فرقان. لقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان:١].

والكتب الثلاثة -التوراة والإنجيل والقرآن- فرقان. قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ..﴾ [آل عمران:٣-٤].

التوراة فرقان، لأن كل ما فيها حق، وكل ما خالفها باطل، وكل من اتبعها بصدق كان على حق، وكل من قصر فيها وحرَّف وغيَّر وبدل كان على باطل.

الثانية: أنها ضياء: والضياء هو النور والإشراق.

وقد يكون الضياء ماديا، كضوء الشمس والنار. وعلى هذا قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس:٥].

وقد يكون الضياء معنوياً كضياء كتب الله، الذي يضيء للناس حياتهم.

ووصفت التوراة بأنها «ضياء» لأنها يستضيء بها المتقون، ويبددون بها الظلام، الذي حولهم، ويعرفون الحق من الباطل، ويكونون على بصيرة.

الثالثة: أنها ذكر: والذّكر هو التذكير. وهي ذكر للمتقين، لأنها تذكرهم بما أوجب الله عليهم من واجبات، ونهاهم عن منهيات، يتذكرونها عندما ينظرون في التوراة، فيلتزمون بها، ويطيعون الله من خلالها.

وهي ذكر لهم من وجه آخر، فبها ومن خلالها يذكرون الله سبحانه، وأفضل أنواع ذكر الله قراءة كتابه، والتدبر فيه.

وكل كتب الله النازلة على رسله ذكر من الله للرسل وللناس. قال تعالى عن ما قاله نوح عليه السلام لقومه: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأعراف:٦٣].

فكلام الله النازل على نوح عليه السلام ذكر من الله له.

والقرآن الكريم ذكر من الله، قال تعالى عنه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾ [ص:٨٧-٨٨].

واللطيف في التعبير القرآني الذي وصف التوراة بأنها ذكر، أنه جاءت الآية التالية تصف القرآن بأنه ذكر. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ

ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾» [الأنبياء:٤٨-٥٠].

فاجتمع في الآيات ذكر التوراة النازلة على موسى عليه السلام، وذكر القرآن النازل على محمد ﷺ.

أوصاف التوراة في سورة الأنعام:

ثالثاً: قال تعالى في سورة الأنعام: «وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾» [الأنعام:٩١].

تدحض الآية كفر كفار قريش، الذين أنكروا النبوات والرسالات كلها، ونفوا أن يكون الله قد بعث رسولاً، أو أنزل عليه كتاباً، وقالوا: «مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ» وهدفهم من هذا نفي نبوة محمد ﷺ.

وترد الآية على كفار قريش، حيث تأمر رسول الله ﷺ أن يسألهم قائلاً: من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس.

ويُسألون هذا السؤال لأنهم يعرفون من خلال جيرانهم في المدينة اليهود أن الله بعث موسى عليه السلام رسولاً ، وأنزل عليه التوراة.

وإثبات نبوة موسى عليه السلام طريق لإثبات نبوة محمد ﷺ، لأنَّ من بعث موسى عليه السلام نبياً يبعث محمداً ﷺ نبياً، وإثبات التوراة كتاباً لله يثبت القرآن كتاباً لله، لأن من أنزل التوراة ينزل القرآن!

ثلاث صفات للتوراة في الآية:

وقد وُصفت التوراة في الآية بثلاث صفات:

الأولى: أنها كتاب: وذلك في جملة: «من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى». وهي كتابٌ، لأن الله كتبها على الألواح وأنزلها على موسى عليه السلام، وهي أحد كتب الله الأربعة، التي يجب الإيمان بها مفصلاً: التوراة والزبور والإنجيل والقرآن.

والإنجيل كتاب. قال عيسى عليه السلام: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم:٣٠-٣١].

والقرآن كتاب. وعلى ذلك آيات عديدة، كقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝﴾ [البقرة:١-٢].

الثانية: أنها نور: تنير لبني إسرائيل طريقهم، وتجعلهم يسيرون على بينة وبصيرة. بينما الكافرون في ظلمات الجهل والكفر والظلم، يعمهون ويتخبطون.

والإنجيل نورٌ للمؤمنين المتبعين لعيسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [المائدة:٤٦].

والقرآن نور للناس جميعا قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤﴾ [النساء:١٧٤].

الثالثة: أنها هدى: فالله جعلها هدى للناس، يهتدون بها للحق، وهي تأخذ بأيديهم وترشدهم وتدلهم، وتقودهم إلى الخير، وتحذرهم من الخطر والشر، وتبين لهم الطريق المستقيم، الذي يوصلهم إلى مرضاة الله.

وقد وصف الله التوراة بأنها نور وهدى للناس: «الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس»، وظاهر الجملة القرآنية أنها نور وهدى للناس جميعا، وأن التوراة خطاب لكل الناس على اختلاف الزمان والمكان.

إن كلمة «الناس» جمع معرف بأل التعريف، وهذا من صيغ العموم، لكنها هنا لا يراد بها العموم، إنما يراد بها أناس مخصوصون، وهم بنو إسرائيل الذين بعث الله لهم موسى رسولا عليه الصلاة والسلام، وهو رسول لهم وحدهم، وليس رسولا للعالمين جميعا.

فمعنى قوله تعالى: ﴿ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ﴾: التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام، وجعلها نورا وهدى لبني إسرائيل.

ومن مجيء «الناس» -الدالة على العموم بظاهرها- بمعنى خاص قوله تعالى عن حقد اليهود على رسول الله محمد ﷺ: ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ﴾ [النساء:٥٤]. أي: هم يحسدون محمدا ﷺ على ما آتاه الله من النبوة والرسالة.

ووصف الله التوراة والإنجيل بأنهما هدى للناس، في قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران:٣-٤].

والقرآن هدى للناس جميعاً، يرشدهم ويدلهم على الحق. قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥].

التوراة تامة ومفصلة وهدى ورحمة:

وقال الله عن التوراة في سورة الأنعام أيضاً: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝١٥٤﴾ [الأنعام:١٥٤].

آتى الله رسوله موسى عليه السلام التوراة، وجعلها «تماماً». أي: تامَّة في أحكامها وتشريعاتها، تلبي حاجات بني إسرائيل، وهي كافية لهم بهذا الاعتبار. والذين يستفيدون منها هم المحسنون الذين يُريدون أن يحسنوا في عبادتهم لله: «تماماً على الذي أحسن».

وفسَّر كلمة «تماماً» بقوله بعدها: «وتفصيلاً لكل شيء». أي: أن معنى كونها «تماماً» أنها تفصيل لكل شيء يحتاجه بنو إسرائيل في حياتهم.

وجعلها الله هدى يهتدي بها بنو إسرائيل، كما جعلها رحمة لهم، رحمهم بها عندما أنزلها عليهم، وبين لهم فيها الأحكام.

أوصاف التوراة في سورة الجاثية:

رابعاً: قال تعالى في سورة الجاثية: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [الجاثية:١٦-١٧].

أخبر الله أنه آتى بني إسرائيل الكتاب، والمراد به التوراة، وآتاهم الحكم المبني على التوراة، وآتاهم النبوة، حيث اختار منهم موسى عليه السلام رسولاً، وأنزل عليه التوراة.

ونتيجةً لكل ذلك فقد فضّلهم على العالمين: ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وهذه المسألة تحتاج إلى إزالة لبس، وإبطال احتجاج اليهود بها، فقد يقول أحدهم: قرآنكم يا مسلمون يعترف بأننا أفضل الناس، وأننا ابناء الله وأحباؤه، وأننا شعب الله المختار، فها هو يقول بأن الله فضلنا على العالمين.

إن الله فضلهم على «عالمين» مخصوصين، مُقيدين في الزمان والمكان، وكان تفضيلهم لأسباب خاصة، يزول ذلك التفضيل بزوالها وانتهائها.

فضلهم الله على «العالمين» الموجودين في ذلك الماضي البعيد، وهم الشعوب المحيطة ببني إسرائيل، وكانوا شعوباً كافرة، كالفراعنة في مصر،

بينما كان بنو إسرائيل مسلمين مع نبيهم موسى عليه السلام. ومن سنة الله تعالى أن يفضل المؤمنين مهما كانت أنسابهم، على الكافرين مهما كانت أنسابهم.

فإذا زالت هذه الصفة عنهم، وتخلّوا عن الإيمان والطاعة، أزال الله عنهم ذلك التفضيل، وهذا ما حصل منهم فيما بعد، حيث كفروا وطغوا وبغوا، وبدّلوا نعمة الله كفراً، فأَزال الله عنهم تفضيله، وأوقع بهم لعنته وغضبه.

ووصفت الآية التوراة بأنها بينات: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُم بَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾. أي: أنَّ التوراة واضحة في عباراتها، بينة في أحكامها، مفهومة في نصوصها، لأنها كلام الله، ولا بد أن يكون كلامه واضحاً بيِّناً، ليفهمه المكلفون ويَعرفوا المطلوب منهم!

أوصاف التوراة في سورة الأحقاف:

خامساً: قال تعالى في سورة الأحقاف: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا..﴾ [الأحقاف:١٢].

تربط الآية بين كتاب الله التوراة، وكتاب الله القرآن، وتُشير إلى أن الله أنزل قبل القرآن كتاب موسى.

الهاء في «قبله» تعود على القرآن. وكتاب موسى هو التوراة. ووُصف كتاب موسى بأنه إمام ورحمة.

وقد تحدثنا عن وصف التوراة بالرحمة فيما سبق. والجديد في الآية وصفها بأنها إمام.

والإمام هو المرجع الذي يرجع إليه الناس، ويحتكمون إليه، ويلتزمون به، ويسيرون خلفه.

وقد يكون الإمام شخصاً يؤتم به، كالإمام الحاكم المسؤول القدوة، والإمام الذي يؤم الناس في الصلاة. وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان:٧٤].

وقد يكون إماماً معنوياً، كالكتاب الذي يتحاكمون إليه، ويلتزمون بما فيه.

وكل كتاب أنزله الله فهو إمام، يرجع إليه ويأتم به الناس. فالتوراة إمام، والإنجيل إمام، والقرآن إمام، بهذا الاعتبار.

وجمعت الآية بين كون التوراة إماماً وكونها رحمةً لبني إسرائيل، لأن إمام الهدى والخير رحمة للمأمومين، يقدم الخير لهم، ويقودهم إليه.

ووصفت التوراة بهاتين الصفتين مجتمعتين في سورة هود، في عبارة قريبة من عبارة سورة الأحقاف. قال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [هود:١٧].

أي: ومن قبل القرآن كتاب موسى التوراة، جعله الله إماماً ورحمة.

أوصاف التوراة في سورة البقرة:

سادساً: قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [البقرة:٥٣].

وصفت التوراة في الآية بأنها كتاب وفرقان، فرقت بين الحق والباطل. وقد تكلمنا عن معنى هاتين الصفتين فيما سبق.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ [البقرة:٨٧] المراد بالكتاب في الآية التوراة.

وقال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [البقرة:٩٢].

البينات هي الأحكام الواضحة التي أنزلها الله في التوراة.

بقية التوراة في التابوت وملك طالوت:

ومن حديث سورة البقرة عن التوراة إشارته لها في قصة طالوت، فلما اعترض الملأ من بني إسرائيل على ملك طالوت، أخبرهم نبيهم أن آية ملكه مجيء التابوت لهم. قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة:٢٤٨].

نأخذ من ألفاظ الآية أنه كان عندهم تابوت، وهو صندوق خاص توضع فيه الأشياء الثمينة، وكانوا يضعون فيه «بقية مما ترك آل موسى وآل هارون».

ويبدو أنه في حروب بني إسرائيل مع أعدائهم انهزموا أمامهم، فتمكّن

الأعداء من أخذ ذلك التابوت، وما فيه من محفوظات عزيزة ثمينة، فعَزَّ ذلك على بني إسرائيل.

فلما أراد الله جعل طالوت ملكاً عليهم، أمر الملائكة أن تأخذ التابوت من عند أعدائهم، وأن تحمله وتأتي به إلى بني إسرائيل، بدون حرب أو قتال. فلما وصلهم التابوت ورأوه أمامهم علموا أن الله رضي لهم طالوت ملكاً.

وأخبرنا الله أن في ذلك التابوت سكينةً من الله لبني إسرائيل، ولعلَّها سكينة معنوية نفسية، وليست مادية محسوسة مجسمة، فوجود ذلك التابوت وما فيه من أشياء ثمينة بين أيديهم، يحقق لهم السكينة والطمأنينة والثقة، وأخذ الأعداء للتابوت يزيل تلك السكينة، ويحل محلها التوتر والقلق والإحباط.

وأخبرنا الله أن في ذلك التابوت: «بقية مما ترك آل موسى وآل هارون». ولعلَّ هذه البقية هي أجزاء من التوراة، أو بعض ألواح التوراة، أو أوراق كُتبت عليها نصوص من التوراة.

والذي يرجِّح هذا الفهم، أنَّ البقية موصوفة بأنها مما تركه آل موسى وآل هارون، وما الذي يتركه هذان النبيان عليهما الصلاة والسلام، وآلهما وذريتهما؟.

أوصاف التوراة في سورة المائدة:

سابعاً: قال تعالى في سورة المائدة: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ

﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ﴾ [المائدة: ٤٤].

أخبر الله في الآية أنه أنزل التوراة على موسى عليه السلام، ووصفها بأنها فيها هدى، يهتدي به المؤمنون، ويعرفون الحق، ويميزونه عن الباطل، ويعبدون الله على بصيرة، ويبتعدون عن الضلالة.

كما وصفها بأنها فيها نور، تُنير للمؤمنين حياتهم، وتبدد الظلمات من حولهم.

وهذه طبيعة كل كتب الله، لأنها من عند الله، فهي هدى يهدي الناس للحق، وهي نورٌ يبدد الظلمات.

والصفة الجديدة للتوراة في الآية أنها «كتاب حكيم» أنزلها الله ليتحاكم إليها الناس، ويُطبقوا ما فيها من أحكام وتشريعات: «يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا».

وتدلُّ الآية على أن أنبياء بني إسرائيل كانوا مأمورين بالتزام التوراة، وتطبيق أحكامها على بني إسرائيل، لأنَّ الله أنزل التوراة على موسى عليه السلام قبلهم، وهذا معناه أن بني إسرائيل كانوا مطالبين بالتوراة عدة قرون، وأنها كانت رسالة كل نبي بعثه الله إلى بني إسرائيل من موسى إلى عيسى عليهم السلام.

ووصف «النبيون» في الآية بأنهم «الذين أسلموا»، والمراد بالإسلام هنا الإسلام بالمفهوم التاريخي، على اعتبار أنه دين لكل نبي بعثه الله، من آدم

إلى محمد، عليهم الصلاة والسلام. فكل نبي مسلم، وكل نبي جاء بالإسلام، وكل نبي طلب من قومه أن يكونوا مسلمين.

والمراد بقوله: «للذين هادوا»: اليهود.

أي: يحكم أنبياء بني إسرائيل المسلمون بالتوراة لقومهم اليهود.

كما يحكم بالتوراة للذين هادوا، كل من الربانيين والأحبار، الذين استُحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء، والمراد بكتاب الله هنا: التوراة.

وإذا لم يحكم الربانيون والأحبار بالتوراة فإنهم كافرون بالله، وهذا في تعبير الآية الصريح: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

(١١)

الأمر بأخذ التوراة بقوة

مما يتعلق بحديث القرآن عن التوراة، إخباره بأن الله أمر بني إسرائيل أن يأخذوا التوراة بقوة، وأن يذكروا ما فيها.

وكان هذا الأمر بعد إنزال التوراة على موسى عليه السلام، ولهذا الأمر مناسبة عجيبة، أشارت لها آيات سورة الأعراف.

فلما عاد موسى عليه السلام إلى قومه من جبل الطور ومعه ألواح التوراة، غضب غضباً شديداً، لأنه وجدهم يعبدون العجل، ونسف العجل وطرد السامري..

ولما سكت عنه الغضب عاد إلى ألواح التوراة، وطلب من قومه أن يلتزموا بها. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الأعراف:١٥٤].

صالحو بني إسرائيل يقتلون عابدي العجل منهم:

ولام موسى عليه السلام قومه على عبادتهم العجل، وأمرهم أن يتوبوا إلى الله. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:٥٤] أخبرهم أنهم ظلموا أنفسهم باتخاذهم

العجل إلهاً من دون الله، وهذا كفر وشرك بـالله، والشرك بالله مـن أقبـح وأشنع أنواع الظلم!

وطلب منهم أن يتوبوا إلى الله بارئهم -والبـارئ هـو الخـالق- ليتجـاوز عنهم ويغفر لهم. ومن علامات صدق التوبة أن يقتلوا أنفسهم!

والراجـح أن المـراد بكلمـة: «أنفسكم» في قولـــه: ﴿فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾: إخوانكم. أي: اقتلوا إخوانكم.

والراجـح أن معنـى قولـه: ﴿فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾: ليقتـل القـوم الذيــن لم يعبدوا العجل إخوانــهم الذيـن عبـدوا العجـل. وتُشـير الآيـة إلى «مقتلـة» وقعت في بني إسرائيل بأمر الله، حيــث هجـمَ القـوم الذيـن لم يشـاركوا في عبادة العجل على إخوانهم الذين عبدوه، وقتلوا مجموعة منــهم، اللهُ أعلـم بعددهم، عند ذلك تاب الله عليهم وعفا عنهم.

موسى يختار سبعين رجلاً من قومه:

بعد ذلك أمر الله موسى عليه السلام أن يختار من قومــه سـبعين رجـلاً، وأن يأتي بـهم إلى جبـل الطـور. قـال تعـالى: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَا..﴾ [الأعراف:١٥٥].

اختار موسى عليه السلام من قومه أفضـل سـبعين رجـلاً، والراجـح أن «قومه» منصوبـة علـى حـذف حـرف الجـر، والتقديـر: اختـار مـن قومـه. والراجح أن «سبعين» مفعول به منصوب لفعل «اختار». والتقديـر: اختـار

موسى سبعين رجلاً من قومه. لكنَّ تقديم الجارِّ والمجـرور وتأخـير المفعـول به، ثم حذف حرف الجر ونصب المجرور جمـال معجـز في التعبـير القرآنـي، وفرق في قوة ومتانة التعبير بين جملة: اختار موسى سبعين رجلاً مـن قومـه لميقاتنا. وبين الآية: «اختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا».

إن الآية تشير إلى أن موسى عليه السلام استعرض قومه، واصطفـى مـن بينهم سبعين رجلاً، هم أفضلهم وأتقاهم، وميَّز السبعين عن سائر القوم.

وظاهر الآيات أن هؤلاء السبعين سيذهبون مع موسى عليـه السـلام إلى جبل الطور، وسيكونون مندوبين عن قومهم في التوبة عما فعلوه من عبادة العجل، وسيعطون العهد والميثاق، بالالتزام الصادق بالتوراة.

وذهب موسـى عليـه السـلام بالرجـال السـبعين، حسـب مـا أمـره الله: «واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنـا». وهـذه هـي المـرة الثانيـة الـتي يذهب بها إلى جبل الطور. وقد كانت المرة الأولى عندمـا غـاب عـن قومـه أربعين يوماً، وتلقى ألواح التوراة على جبل الطور.

وذكرت كلمة «لميقاتنا» في المرتين. حيث قال تعالى عن المرة الأولى: «ولمـا جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه». وهنا قـال تعـالى: «سـبعين رجـلاً لميقاتنـا». وقلنا إن «اللام» في الكلمة هي «لام التوقيت». والميقات هو الموعـدُ المحـدَّد بالوقت الدقيق.

ولما وصل موسى عليه بالسبعين -الذين هـم أفضـل بـني إسـرائيل- إلى الجبل، طالبهم أن يعطوا العهد والميثاق، ولكنهم تلكؤوا ورفضوا، وتعللـوا

بعلل باطلة، فإذا كان هـذا حـال السبعين الأفـاضل، فكيـف يكـون حـال الآخرين من بني إسرائيل، الذين هم أقل منهم فضلاً.

لماذا أخذت الصاعقة الرجال السبعين؟

وبدل أن يعطوا العهد والميثاق قالوا: لن نؤمن لك يا موسى حتـى نـرى الله جهرة!

فعاقبهم الله بالصاعقة، أخذتهم وهم ينظرون.

قـال تعـالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة:٥٥-٥٦].

طلبوا أن يروا الله عياناً بعيونـهم! أي أن يـنزل الله مـن السـماء، ويقـف أمامهم على الأرض، وأن يشاهدوه وينظروا إليه بعيونهم، كما يَنظـرون إلى أي إنسان أمامهم!! وهذا طلب في غاية الجهل والسخف.

ولذلك عاقبـهم الله بالصاعقـة، حيـث صُعقـوا وهـم ينظـرون، وأُغمـي عليهم مدةً من الزمان، ثم أيقظهم الله، وأفاقوا مـن إغمائـهم، وعَلمـوا أن الله لا يُمكن أنْ يُرى في الدنيا.

موسى يدعو الله للعفو عن المصعوقين:

والصاعقة في سورة البقرة هي الرجفة في سورة الأعـراف، الـتي قـال الله

عنها: ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف:١٥٥-١٥٦].

والرجفة هي حركة الأرض التي كانوا يقفون عليها واضطرابها، وهي حركة قريبة من الزلزلة، ويبدوا أن الرجفة في الأرض ملازمة للصاعقة التي صعقتهم، حيث رجفت بهم الأرض، ثم صعقوا.

ورأى موسى عليه السلام الرجال مصعوقين أمامه فتضرع إلى الله قائلاً: رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي. ورجاه أن لا يميتهم، وأن يعفو عنهم، ويجعلهم يُفيقون. وقال لربه: أتهلكنا بما فعل السفهاء منا. أي: لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، ولا تهلكنا بسبب ذنوبهم وسفههم، ولعله أراد بكلامه السفهاء الذين عبدوا العجل في غيبته، والسفهاء الذين طلبوا أن يروا الله جهرة بعيونهم!

وقال لربه: إن هي إلا فتنتك. أي: أنت تبتلي من تشاء من عبادك، بما تشاء من فتنك وابتلاءاتك، ومنهم من يُفتتن ويرسب في الابتلاء، ويضل عن الحق، ومنهم من ينجح في الابتلاء، ويهتدي للحق، وأنت يا رب الفعَّال لما يريد.

وأعلن موسى عليه السلام أنه وقومه هادوا إلى الله: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ﴾.

ومعنى: «هدنا إليك»: تبنا ورجعنا إليك. تقول: هادَ الرجل إلى الحق. أي: رجع إليه والتزم به.

وكلمة «هاد» واشتقاقاتها عربية. تقول: هادَ، يهود، هوداً: أي: رجع، يرجع، رجوعاً.

أما اسم «يهود» الذي أطلق على أولئك القوم، الذين كانوا يسمون «بني إسرائيل» فهي كلمة أعجمية، ولعلها أخذت من اسم أحد أجدادهم «يهوذا»، ولا صلة بينها وبين الكلمة العربية «الهود» بمعنى الرجوع.

تهديدهم بإسقاط الجبل عليهم إن لم يعاهدوا:

وبعدما أفاق أولئك الرجال السبعون من صعقتهم وغشيتهم طلب منهم موسى عليه السلام أن ينفذوا ما جاؤوا من أجله، وهو إعطاء العهد والميثاق نيابة عن قومهم. والاعتذار عن عبادتهم العجل.

ولكنّهم تلكؤوا وتعللوا وتثاقلوا، وحاولوا أن يتهربوا، فهددهم الله تهديداً عجيباً، بآية خارقة، ومعجزة مادية قاهرة. قال الله عنها: ﴿وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧١﴾ [الأعراف:١٧١].

معنى «نتقنا»: رفعنا، والنتق هو قلع الشيء وقطعه، ورفعه إلى أعلى، تقول: نتقت الحجر، أي: قلعته من مكانه، ورفعته إلى أعلى.

ومعنى «ظلة»: سحابة أو غمامة، تظلل من تحتها، فيكون لها ظل يغشاه.

كان الرجال في أسفل جبل الطور يتثاقلون ويتلاعبون، والأمر جاد. وعلم الله أنه لا ينفع معهم اللين، ولا بد من تهديدهم ليبايعوا ويعاهدوا! فاقتلع جبل الطور من مكانه، بقدرته سبحانه، ورفعه إلى أعلى، وجعله فوقهم كأنه سحابة أو غمامة!

وفوجئ القوم بما يشاهدون، وظنوا أن الجبل الذي هو الآن فوقهم سيقع بهم، -والظن هنا بمعنى اليقين- وسيطحنهم تحته طحناً، وأنه لا نجاة لهم إلا بإعطاء العهد والميثاق، فاضطروا إلى المعاهدة والمبايعة، تحت ضغط التهديد الرهيب!!

وقد أمرهم الله بأمرين، وذلك في قوله تعالى: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾..﴾.

وذكر الله اليهود في المدينة بهذين الأمرين اللذين أمر بهما أسلافهم عند جبل الطور. وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [البقرة:٦٣].

بدأت الآية بظرف الزمان «إذ» المستعمل للماضي، والداخل على جملة

تتحدث عن أمر مضى، وهذا الظرف متعلق بفعل مقدر. والتقدير: اذكروا حين أخذنا ميثاق آبائكم، عندما رفعنا فوقهم جبل الطور.

ومعنى: «أخذنا ميثاقكم»: أمرنا آباءكم أن يعطوا العهد والميثاق، بأن يلتزموا بالتوراة.

«ورفعنا فوقكم الطور»: لما تلكؤوا وتثاقلوا في إعطاء العهد رفعنا فوقهم جبل الطور، وظنوا أنه واقع بهم، عند ذلك خافوا وأعطوا العهد والميثاق.

عند ذلك أمرهم الله بأمرين:

أمرهم بأخذ التوراة بقوة:

الأول: في قوله تعالى: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾: والذي آتاهم الله إياه هو كتابه التوراة، الذي أنزله على موسى عليه السلام. والواجب عليهم أن يأخذوه بقوة.

والأخذ معناه الإلتزام والتطبيق، والتنفيذ لما في التوراة من أحكام وتشريعات.

وليس المراد بالقوة القوة البدنية العضلية، فأخذ التوراة لا يحتاج إلى هذه القوة المادية، لأن حجمها محدود، ويمكن لأي إنسان أن يحملها بيديه بسهولة، وهذا لا يحتاج إلى جهد كبير!

المرادُ بالقوة القوة المعنوية، قوة العزيمة والهمة والإرادة، بمعنى أن يلتزموا بالتوراة بهمة وصدق وجدية، ومعلوم أن الدين يحتاج إلى إرادة قوية،

وعزيمة صادقة، وهمة عالية، لحمله وتطبيقه، وأنه لا ينفع معه التكاسل والرخاوة والضعف.

والمراد بالقوة أيضاً قوة التطبيق والالتزام، وقوة الأداء والعمل، بعدم التحايل على الأوامر، وعدم الترخص والتهاون في الواجبات!

وأمرهم بفهم وذكر أحكام التوراة:

الثاني: في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝٦٣﴾.

ومعنى هذا الأمر: الواجبُ على بني إسرائيل أن يذكروا ويتذكروا الأحكام والتشريعات، وباقي مضامين وموضوعات التوراة.

وهذا يتطلب منهم أن يتعلموا التوراة، ويفهموا ما فيها، لأنه لا يتحقق الذكر والتذكر إلا بعد العلم والفهم.

ثم إن العلم والفهم، والذكر والتذكر، يسبق أخذ الكتاب بقوة، ليكون الأخذ والأداء واعياً بصيراً، وصحيحاً صواباً. فعندما يفهم الإنسان الواجب عليه، يكون تطبيقه له صحيحاً، أما إذا لم يعلم ولم يفهم الأمر فإن الأداء يكون خاطئاً، إذ كيف يؤدي ما لم يفهمه، أو ما كان فهمه له غير صحيح.

ولقد ابتلي الدين -في الماضي والحاضر- بسوء الفهم لنصوصه، الذي أدّى إلى سوء العمل والتطبيق، حيث نشأ عن ذلك المغالاة والتطرف، أو التفلت والترخص والتفريط.

وأخذ التوراة بقوة، وذكر وتذكر ما فيها، يحقق التقوى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝﴾ فالتقوى مبنية على الفهم والذكر، ثم العمل والتطبيق.

ولكنَّ بني إسرائيل لم ينفّذوا الأمرين الربانيين، وخالفوهما وأعرضوا عنهما. قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ۝﴾ [البقرة:٦٤].

والعجيب في الطبيعة الإسرائيلية العجيبة هو التفلت من الأوامر، والتمرد عليها، وعصيان الله. وهذا ما صرح به قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة:٩٣].

أمرهم الله -عند رفع جبل الطور فوقهم- أن يأخذوا التوراة بقوة، وأن «يسمعوا».

وليس المراد بالسمع هنا مجرد سماع الكلام بالأذن، وإنما المراد نتيجة وثمرة السماع، وهي الاستجابة والطاعة.

فماذا قال اليهود؟ قالوا: «سمعنا وعصينا» أي: سمعنا الأمر وعصيناه وخالفناه، ولم ننفذه!

(١٢)

من أحكام التوراة في القرآن

جعل الله التوراة نوراً وضياءً وهدى لبني إسرائيل، وهـذا يعني أن يُبين فيها الأحكام والتشريعات التي أمر بها بني إسرائيل. فالتوراة كانت منهاج حياة لبني إسرائيل، ومعلومٌ أن كل دين فهو منهاج حياة، وكل كتاب أنزله الله على رسول فهو منهاج حياة، بين فيه ما يحتاجه الناس، لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل!

من أحكام التوراة المذكورة في سورة البقرة:

وقد ذكر القرآن بعض أحكام التوراة، التي أوجبها الله على بني إسرائيل ومن الأمثلة على ذلك:

أولاً: قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ

إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة:٨٣-٨٥].

تذكر الآية مجموعة من الأحكام التي أنزلها الله في التوراة. وهي:

١. عبادة الله وحده: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾.

٢. الإحسان إلى الوالدين: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

٣. الإحسان إلى ذوي القربى واليتامى والمساكين: ﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾.

٤. التعامل مع الناس بالحسنى، والنطق بالقول الحسن والكلام الطيب واللفظ الجميل: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾.

٥. إقامة الصلاة: فالصلاة كانت واجبة عليهم، لكن لا نعرف تفاصيلها وكيفياتها وأوقاتها وأركانها، لأن الله لم يخبرنا عن ذلك: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

٦. إيتاء الزكاة للفقراء والمساكين، لكن لا نعرف شروطها ومقاديرها: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

٧. المحافظة على الدماء، وعدم الإقدام على الانتحار وقتل النفس وسفك الدم، وعدم قتل الاخوة في الدين الإسرائيلي: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾.

٨. عدمُ الاعتداء على الآخرين، أو قتالهم، أو إخراجهم من ديارهم، أو مساعدة أعدائهم في قتالهم لهم: ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾.

والراجح أن المراد بكلمة «أنفسكم» إخوانكم في الدين. وإطلاق كلمة «أنفسكم» على الإخوان يشير إلى قوة الأخوة التي لا بد أن تكون بينهم، فكأن الإخوان صاروا «جزءاً» من الأنفس!

٩. مساعدة الإخوان الذين اعتدى عليهم الأعداء، وإن وقع بعضهم في أسر الأعداء دفعوا لهم الفدية وأطلقوا سراحهم: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ﴾.

تناقض اليهود في موقفهم من تلك الأحكام:

وقد ذمَّت الآيات اليهود، لأنهم لم يلتزموا بتلك الأحكام: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾.

ومن إعراضهم عن أحكام التوراة وقوعهم في تناقض وازدواجية، استحقوا عليها اللوم والتأنيب. فالله نهاهم عن سفك دماء إخوانهم أو إخراجهم من ديارهم: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾.

ولكنهم وقعوا في تناقض عجيب، فقد خالفوا نهي الله عن قتل إخوانهم، وإخراجهم من ديارهم، وقاموا بقتلهم وبإخراجهم من ديارهم،

وظاهروا وعاونوا وساعدوا الأعداء على إخوانهم، وقاتلوا إخوانهم، وكانوا في صف واحد مع الأعداء ضدَّهم. قال الله في تأنيبهم عن هذه المخالفة: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾.

وفي موضوع افتداء الأسرى من إخوانهم، التزموا بالحكم الشرعي وفادوهم، مع أنهم السبب في وقوعهم في أسر أعدائهم، لأنهم قاتلوهم مع أعدائهم. لذلك ذمَّهم الله في قوله: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾.

وهذا التناقض المرذول إيمان ببعض أحكام التوراة، وكفر ببعضها الآخر: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾.

والمراد بالكتاب هنا التوراة، ومن كفر ببعض أحكام التوراة فهو كافر، لأنه لا يجوز تجزئة وتقسيم تلك الأحكام، ويُؤخذ من الآية التصريح بكفر اليهود لهذا الموقف المتناقض العجيب!

من أحكام التوراة في سورة آل عمران:

ثانياً: قال تعالى: ﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [آل عمران:٩٣-٩٤].

تُكذب الآية اليهود في بعض مزاعمهم حول التحليل والتحريم، فهم يزعمون تحريم بعض المطعومات، اقتداءً بأبيهم إسرائيل، الذي هو يعقوب عليه السلام، وهم يزعمون أنهم على دين إبراهيم عليه السلام وشريعته، وأنهم يقتدون به في التحليل والتحريم، فما يحرمون على أنفسهم من الطعام هو الذي حرَّمه إبراهيم نفسه عليه الصلاة والسلام!

وقد كذبهم الله في هذا الزعم، وأخبر أن كل أنواع الطعام كانت حلالاً لبني إسرائيل، قبل إنزال التوراة، وأنه لم يحرم عليهم إلا الطعام الوحيد الذي حرمه أبوهم إسرائيل على نفسه: ﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾.

وبعد إنزال التوراة لهم حرَّم الله عليهم بعض الطيبات التي كانت مباحةً قبل إنزالها، عقوبة من الله لهم، بسبب بغيهم وظلمهم. قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء:١٦٠].

فالمحرماتُ التي حرَّمها الله عليهم في التوراة كانت مباحة في شريعة إبراهيم وفي شريعة يعقوب عليهما السلام. واليهود كاذبون في زعمهم أنَّ هذه المحرمات عليهم كانت محرمات في شريعة إبراهيم عليه السلام.

ما الذي حرمه يعقوب على نفسه؟ ولماذا؟

الطعام الوحيد الذي كان محرماً على بني إسرائيل قبل إنزال التوراة هو الذي حرَّمه إسرائيل عليه السلام على نفسه.

وقد وضح رسول الله ﷺ هذا الطعام في حوار طويل جرى بينه وبين اليهود في المدينة، ليُقيم عليهم الحجة.

ونأخذ من الحديث الطويل الجزء المتعلق بهذا المسألة. فقد روى الترمذي [برقم ٥١٢١] وأحمد [١: ٢٧٣ و٢٧٤] عن ابن عباس رضي الله عنهما أن اليهود قالوا: «يا أبا القاسم! حدثنا عن خلال نسألك عنهن، لا يعلمهن إلا نبي.. أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل من قبل أن تنزل التوراة؟

قال: فأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى: هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب عليه السلام مرض مرضاً شديداً، وطال سقمه، فنذر لله نذراً، لئن شفاه الله من سقمه، ليحرمن أحب الشراب إليه، وأحب الطعام إليه، وكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها!

قالوا: نعم

قال: اللهم اشهد عليهم!..»

أخبرهم رسول الله ﷺ أن أحب الطعام إلى يعقوب عليه السلام كان لحوم الإبل، وأحب الشراب إليه كان ألبان الإبل، فلحوم الإبل وألبانها من الطيِّبات التي كان يحبها إبراهيم، وبعده يعقوب عليه السلام.

ومرض يعقوب عليه السلام مرضاً شديداً، وطال سقمه، وأراد أن يتقرب إلى الله بعمل، فنذر نذراً أن يمتنع من أحب اللحم إليه، وهو لحم الإبل، وأحب الشراب إليه، وهو ألبان الإبل، إذا شفاه الله. ولما شفاه الله وفى نذره، وامتنع عن لحوم وألبان الإبل.

والتزم أبناؤه وأحفاده من بعده، وامتنعوا عن لحوم وألبان الإبل، واستمرَّ هذا فيمن بعدهم من أجيال بني إسرائيل. وبذلك حرم عليهم لحوم وألبان الإبل.

ثم حرم الله عليهم في التوراة بعض المباحات والطيبات التي كانت مباحةً لهم قبل إنزالها، وأضيفت تلك المحرمات إلى لحوم الإبل وألبانها.

من أحكام التوراة في سورة النساء:

ثالثاً: قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَـٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾ [النساء:١٥٤].

تشير هذه الآية إلى حكمين من أحكام التوراة، أمرهم الله بهما، ولكنهم خالفوهما:

الأول: دخولهم باب المدينة التي يفتحونها ساجدين لله، شاكرين له: ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾.

وفصلت هذا الأمر قليلاً آيات سورة البقرة. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [البقرة:٥٨-٥٩].

ولم يُحدد القرآن اسم القرية التي افتتحوها، ونصرهم الله فيها على أعدائهم، فهي من «مبهمات القرآن» التي لا سبيل إلى بيانها، ولا فائدة من ذلك.

وبدل أن يدخلوا باب القرية ساجدين شاكرين لله، بدلوا فعلاً غير الذين أمروا به، وبدلوا قولاً غير الذين قيل لهم.

ووضح هذا رسول الله ﷺ فقد روى البخاري [برقم: ٣٤٠٣] ومسلم [برقم: ٣٠١٥] عن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: «قال الله لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة، نغفر لكم خطاياكم، فبدَّلوا، ودخلوا يزحفون على أستاههم، وقالوا حبةٌ في شعيرة».

أمرهم الله أن يدخلوا الباب سجداً، فدخلوا يزحفون على أستاههم -وهي مؤخراتهم ومقاعدهم- وأمرهم أن يقولوا: حطة. أي: يا ربنا حط وضع عنا ذنوبنا، فبدلوا ذلك، وقالوا: حبة في شعيرة! وهو قول لا معنى له، المهم عندهم هو أن يبدلوا ويغيروا!

الثاني: نهيهم عن الاعتداء على حرمة يوم السبت، وأمرهم بالمحافظة عليها، بأن يسبتوا ويتوقفوا عن العمل: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ﴾.

وقد خالفوا هذا الحكم أيضاً، واعتدوا على حرمة يوم السبت، فمسخهم الله قردة خاسئين أذلاء. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾ [البقرة:٦٥].

ومعلوم أن مخالفتهم لهذين الحكمين كانت بعد وفاة موسى عليه السلام بفترة، لأنهم لم يدخلوا قرى ومدن الأرض المقدسة إلا بعد وفاته. ووقعت قصة أصحاب السبت المذكورة في سورة الأعراف [١٦٣-١٦٦] بعد وفاته.

وقال تعالى عن ما حرَّمه عليهم ونهاهم عنه: ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [النساء:١٦١].

تذكر الآية أن الله نهاهم عن أكل الربا، وحرمه عليهم، لكنهم خالفوا هذا وأكلوا الربا.. كما تذكر أن الله نهاهم عن أكل أموال الناس بالباطل، وهذا يشمل تحريم أخذ أموال الآخرين بأي صورة غير مشروعة، كالسرقة والرشوة والغش والغصب، لكنهم لم يلتزموا بذلك، وأكلوا الأموال بالباطل!

من أحكام التوراة في سورة المائدة:

رابعاً: ذكرت آيات من سورة المائدة بعض أحكام التوراة. منها:

١. قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [المائدة:١٢].

أخذ الله ميثاق بني إسرائيل، عند جبل الطور، وأعطى الميثاق السبعون رجلاً نيابة عن قومهم، وجعل موسى عليه السلام عليهم اثني عشر نقيباً، كل نقيب مسؤول أمام موسى عليه السلام على من هم دونه.

وأخبرهم الله أنه معهم بنصره وحفظه وتأييده، لكن هذه المعية ليست مطلقة، وإنما هي مشروطة، فهو سبحانه معهم بشرط أن يكونوا هم معه، وذلك بأن ينفذوا الواجبات والأحكام المطلوبة منهم. والواجبات التي ذكرتها الآيات هي:

١. إقامة الصلاة: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

٢. إيتاء الزكاة: ﴿وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

٣. الإيمان بالرسل جميعاً: ﴿وَءَامَنتُم بِرُسُلِى﴾.

٤. نصرة الرسل وتأييدهم: ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾.

٥. النفقة في سبيل الله على الفقراء والمساكين: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾.

فإن نفذوا هذه الأوامر وأدوا هذه الواجبات كان الله معهم بحفظه وتأييده، وسيمن عليهم بأن يكفر عنهم سيئاتهم، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار.

لكن هل أدوا تلك الواجبات، ووفوا بميثاقهم؟ كلا. لقد قصروا فيها،

ونقضوا ميثاقهم، فرفع الله معيته وبركته عنهم، وأوقع بهم لعنته. قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة:١٣].

تحريم القتل على بني إسرائيل:

٢. قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [المائدة:٣٢].

هذه الآية في التعقيب على قصة ابني آدم في السورة: [الآيات:٢٧-٣١] تلك القصة التي شهدت أول جريمة قتل في التاريخ، حيث قتل ابن لآدم أخاه.

وقد انتقلت الآية نقلةً واسعةً من ابني آدم إلى بني إسرائيل، لتذكر لنا بعض أحكام التوراة النازلة إليهم.

وبدأت الآية بجملة: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ..﴾ والإشارة إلى جريمة ابن آدم القاتل.. والمعنى: من أجل منع القتل عدواناً، وعدم قتل أي إنسان ظلماً، حرمنا القتل على بني إسرائيل!

ولماذا الحديث عن بني إسرائيل بالذات؟ وما هي الصلة بين بني إسرائيل وقصة ابنيْ آدم؟

يبدو أن الصلة بين الأمرين هي سيطرة شهوة القتل على بني إسرائيل، كسيطرتها على ابن آدم الظالم، لأن عندهم رغبة في السيطرة على الآخرين

وإذلالهم وقتلهم، بدون شفقة أو رحمة، ولذلك حرم على بني إسرائيل القتل بدون حق، وبين لهم أنه من قتل نفساً ظلماً بغير حق فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحيا النفس بعدم قتلها فكأنما أحيا الناس جميعاً.

ومع ذلك لم يلتزموا بهذا التوجيه الرباني، وقاموا بالاعتداء على الآخرين وقتلهم.. ومن المعلوم أن اليهود هم أجبن الناس، لكنهم عندما يحكمون يكونون أكثر الناس سفكاً للدماء.

تشريع القصاص لبني إسرائيل:

٣. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة:٤٤-٤٥].

أنزل الله التوراة لبني إسرائيل كتاب حكم، وأمر النبيين والربانيين والأحبار أن يحكموا بما فيها.. وذكر في هاتين الآيتين بعض الأحكام والتوجيهات لهم في التوراة:

- وجوب الاحتكام إلى التوراة، وقبول أحكامها، وتنفيذها، ومن لم يحكم بما أنزل الله في التوراة، فأولئك هم الكافرون الظالمون.
- خشية الله وحده، وعدم خشية الناس، ولذلك يكون الالتزام بحكم الله، والخوف من الله إن حصل فيه ترك أو تقصير، وعدم الالتفات إلى اعتراض الناس على حكم الله، وعدم خشيتهم.
- عدم المتاجرة بآيات الله، وعدم اشتراء الثمن القليل بها، إرضاءً لأصحاب الأهواء، الذين لا تعجبهم أحكام الله، ويبحثون عن من يفتي لهم بالترخص فيها.
- القصاص في القتل، فمن قتل نفساً ظلماً بدون حق يقتل بها: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾.
- القصاص في الجروح: فمن فقأ عيناً دفع ديتها، ومن قلع أنفاً دفع ديته، ومن قطع أذناً دفع ديتها، ومن كسر سناً دفع ديته، وهكذا باقي الجروح والإصابات: ﴿وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾.
- جواز العفو عن المعتدي، والتنازل عن الدِّية، والتصدق على المعتدي بذلك، لأنه حق للمعتدى عليه سامح به وتنازل عنه: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾.

وتشريع القصاص في القتل والجروح لبني إسرائيل كتشريع القصاص فيهما لنا نحن المسلمين، فهذا مما صدّق فيه القرآن التوراة.

من أحكام التوراة في سورة الأنعام:

خامساً: قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الأنعام:١٤٦-١٤٧].

الآيتان في سياق تكذيب المشركين في مزاعمهم أن الله حرم عليهم أشياء، وأنهم ملتزمون بحكمه، وتقرير أن الله لم يحرم عليهم ما زعموه، وإنما هم الذين حرموه بأهوائهم.

وتعرض الآية (١٤٦) بعض ما حرمه الله على اليهود في التوراة .. والمراد بقوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾: اليهود، فهم الذين يزعمون أنهم هادوا ورجعوا إلى الله.

حرم الله على اليهود شيئين يتعلقان بالحيوانات المأكولة ولحومها:

١. كل ذي ظفر من البهائم والطيور. وهو ما لم يكن مشقوق الأصابع. فالبقر والغنم مشقوقة الأصابع، لذلك هي مباحة لهم، لكن الإبل ليست مشقوقة الأصابع، فهي محرمة عليهم: ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾.

ومن البهائم والطيور المحرمة عليهم لأنها من ذوات الأظفار: الإبل والنَّعام، والبط والأوز.

٢. شحوم البقر والغنم: ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾.

وأباح الله لهم بعض الشحوم القليلة، وهي الموجودة في ثلاثة مواضع من الذبيحة، ذكرتها الآية: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾.

أ. أباح الله الشحم الذي حملته ظهور البقر والغنم وعلق بها.

ب. الشحم الذي على الحوايا. والحوايا هي المباعر والأمعاء، التي حواها البطن وضمها.

جـ. الشحم الذي على العظم، كعظم العمود الفقري والعصعص، وعظم الرأس والقوائم والجنب، وغير ذلك.

فهذه المواضع الثلاثة في جسم الذبيحة يكون عليها قليل من الشحم، ويصعب فصله عنها، ولذلك أباحه الله لهم، أما الشحم الكثير السميك كشحم الإلية فهذا محرم عليهم.

لكن هل التزم اليهود بهذا الحكم؟ وامتنعوا عن الشحم؟

أخبرنا رسول الله ﷺ أنهم تحايلوا على أمر الله، وفق طبيعتهم اليهودية المتحايلة، فهم لم يأكلوا الشحم، وإنما ذوبوه وباعوه، وأكلوا ثمنه، وبذلك وقعوا في الحرام، فاستحقوا اللعنة من الله.

روى البخاري [برقم: ٢٢٢٣] ومسلم [برقم: ١٥٨٢] عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله اليهود، حُرمت عليهم الشحوم، فجمَلوها، فباعوها» ومعنى «جملوها»: ذوبوها.

وروى البخاري [برقم: ٢٢٣٦] ومسلم [برقم: ١٥٨١] عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله اليهود، إن الله لما حرم عليهم شحومهما، أجملوه، ثم باعوه، فأكلوا ثمنه..».

(١٣)

تحريف أحبار اليهود التوراة

تحدثنا في الماضي عن إنزال ألواح التوراة، مكتوبة في السماء، وأخذ موسى عليه السلام تلك الألواح لبني إسرائيل، ومطالبتهم بتنفيذ ما فيها. وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأعراف:١٤٥].

وتحدثنا عن أمر الله لهم أن يأخذوا ما آتاهم الله من التوراة بقوة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [البقرة:٦٣].

وحكم موسى عليه السلام قومه بالتوراة، وأمر أحبارهم وربانييهم بحفظ التوراة والمحافظة عليها، لكنهم لم ينفذوا هذا الأمر، ولم يحفظوها، بل ضيعوها.

ونفهم هذا الأمر من كتاب الله. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة:٤٤].

والشاهد في الآية قوله: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ والكلام فيه عن الربانيين والأحبار، وهم «رجال الدين» اليهودي.

«استُحفظوا» فعل ماض سداسي مبني للمجهول. والواو فيه في محل رفع نائب فاعل، يعود على الربانيين والأحبار.

الله هو الذي: «استحفظهم» على كتاب التوراة، أي: طلب منهم أن يحفظوا التوراة. الفعل الثلاثي: «حفظ»، والهمزة والسين والتاء الداخلة عليه تدل على الطلب.

استحفظ الله الربانيين والأحبار على التوراة، فهل نفَّذوا أمر الله وحفظوها؟ لم يفعلوا ذلك، وإنما حرَّفوها وغيروها وبدلوها، وزادوا فيها، وأنقصوا منها، واشتروا بها ثمناً قليلاً.

وهذه حقيقة قرآنية، أخبرت عنها عدة آيات فيه، وشهد لها التاريخ، الذي سجل تحريف التوراة وضياعها، وأكد الباحثون أن أسفار «العهد القديم» الموجودة بين أيدي اليهود الآن ليست هي التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام.

معنى «التحريف» وصوره:

وقبل عرض الآيات التي أثبتت تحريف الأحبار للتوراة، نبين معنى هذا المصطلح: «التحريف».

«التحريف» مصدر، فعله الماضي رباعي: «حرَّف» بالتشديد، الثلاثي منه «حرف».

قال الإمام الراغب الأصفهاني: «حرف الشيء: طرفه. يقال: حرف السيف، وحرف السفينة، وحرف الجبل، وحروف الهجاء: أطراف الكلمة.

وتحريف الشيء: إمالته، كتحريف القلم. وتحريف الكلام: أن تجعله على حرف من الاحتمال، يمكن حمله على الوجهين» [المفردات: ٢٢٨].

في مادة «حرف» معنى الطرف والعدول والإمالة. فالحرف: الطرف والنهاية، والانحراف العدول، والتحريف الإمالة.

يقال: هذا حرف الجبل. أي: طرفه ونهايته. ويقال: انحرف عن الحق. أي: عدل عنه وذهب إلى الباطل، ويقال: حرَّف الشيء. أي: أماله عن وجهه الصحيح.

وتحريف الكلام: إمالته عن معناه الصحيح، وتوجيهه إلى معنى آخر لا يدل عليه.. أو التلاعب بالكلام، ونقله عن التحديد والدقة إلى الاحتمال والذبذبة، بحيث يمكن حمله على الوجهين، أو الاستدلال به على الأمرين.

وتحريف الكلام وإمالته له صور. فقد يكون بتغيير الكلام وتبديله، أو تركه والإتيان بكلام آخر مكانه. وقد يكون بزيادة شيء فيه، وقد يكون بحذف شيء منه، وقد يكون بإبقائه مع تغيير دلالته ومعناه، وتأويله وصرفه عن الصحيح إلى الباطل.

وكل صور هذا التحريف قام بها الأحبار في تحريفهم للتوراة، وفق هواهم ومصلحتهم، فبعض الكلام أبقوه لكنهم أولوه وصرفوه عن الحق

إلى الباطل، وبعض الكلام حذفوا منه ما لا يتفق مع هواهم، وبعض الكلام زادوا فيه ما يريدون، والكثير من الكلام غيروه وبدلوه، وحذفوه ووضعوا غيره من عندهم، وقالوا للناس: هذا كلام الله.

حرفوا كلام الله، ولبسوا الحق بالباطل، وكتموا الحق، وأخفوه، ولوَّوْا ألسنتهم به!!

إخبار سورة البقرة عن تحريف التوراة:

أخبر القرآن عن تحريف أحبار اليهود للتوراة في أربع آيات صريحة، في سور البقرة والنساء والمائدة، وفي آيات أخرى عديدة لم يُستخدم فيها لفظ التحريف، إنما استخدم ألفاظاً أخرى تدل عليه، وتؤدي معناه.

والوقفة الآن مع الآيات الأربعة:

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾ [البقرة:٧٥].

الخطاب في الآية للمسلمين، يدعوهم الله إلى أن لا يطمعوا أن يؤمن لهم اليهود.

وقد سبقتها آيات تحدثت عن قصة البقرة [٦٧-٧٤] تلك القصة التي كشفت عن طبيعة اليهود في التحايل على أحكام الله، والتفلت منها، وتضييع الأوقات والأعمار فيما لا فائدة منه.

وختمت تلك الآيات بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة:٧٤].

ملك اليهود قلوباً قاسية صلدة مجدبة، هي أشد قسوة من الحجارة، وماذا تقول في أناس قلوبهم أقسى من الحجارة؟ وماذا يتبقى لإنسان من الإنسانية إذا كان الحجر ألين من قلبه؟

وقد تعامل اليهود مع كتاب الله «التوراة» بهذه القلوب الأشد قسوة من الحجارة، وكانت قلوب أحبارهم أشدَّ قسوة من قلوب عامتهم، التي هي أشد قسوة من الحجارة! فماذا سيفعلون بالتوراة، وقلوبهم لا تُعظم الله، ولا تلين مع كتابه؟

اليهود لن يؤمنوا للمؤمنين:

يقول الله للمسلمين: أفتطمعون أن يؤمنوا لكم؟. أي: هل ترجون أو تتوقعون أن يؤمن اليهود لكم، وأن يدخلوا في دينكم؟

لا تتوقعوا ذلك ولا تطمعوا فيه، لأنهم عدَوْا على كتابهم «التوراة» وحرفوه، فكيف يؤمنون بكتابكم «القرآن»؟

ونلاحظ أنَّ فعل «يؤمنوا» تعدّى إلى ما بعده بحرف اللام، وليس بحرف الباء قال: ﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ﴾. ولم يقل: أفتطمعون أن يؤمنوا برسولكم أو بكتابكم.

إنهما خطوتان متتابعتان: الإيمان بالشيء.. ثم الإيمان للإنسان.

الإيمان بالشيء يدل على التصديق والثقة والطمأنينة، وهذا يتحقق في أركان الإيمان الستة: الإيمان بالله، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر.

والإيمان للإنسان معناه اتباعه وموافقته والثقة به والطمأنينة له، تقول: آمنت للصادق. أي: وثقت به واتبعته.

ويدل قوله: ﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ﴾: على أن اليهود عنصريون أنانيون، مصابون بمرض التكبر والاستعلاء، ويرون أنفسهم «شعب الله المختار»، ولذلك لا يمكن أن يؤمنوا للمؤمنين، ولا أن يوافقوهم ويتابعوهم، ولو كان الحق مع المؤمنين، لأن اليهود لا ينقادون لغيرهم لاستعلائهم!

كيف يؤمن اليهود للمؤمنين وينقادون لهم: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾؟

كان فريق من اليهود يسمعون كلام الله، والمراد بالفريق أحبارهم العالمون بدينهم، والمراد بكلام الله كتابه الذي أنزله على موسى عليه السلام «التوراة» وقد سمعوه من موسى عليه السلام نفسه مباشرة، لأنه بلغهم إياه. والأحبار الذين جاءوا بعد ذلك سمعوا كلام الله من الأحبار الذين سبقوهم.

حرفوا التوراة بعد ما سمعوها وعقلوها وعلموها:

بعدما سمع هذا الفريق كلام الله حرفوه، بأي صورة من صور

التحريف، كتغييره وتبديلـه، ووضـع غـيره مكانـه، مـن كلامـهم هـم.. أو بالزيادة عليه أو النقصان منه مع إبقائه.. أو بتغيير معناه ودلالته وتأويله إلى غير المراد منه!

وهم قد حرّفوه ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾: أي فهموه واستوعبوه، وتعاملوا معه بعقولهم ومداركهم، وعلموا أنه كلام الله.. ومـع ذلـك كلـه، وبعد ذلك كله قاموا بتحريفه وتغييره وتبديله.

لقد كان تحريف الأحبار للتوراة بتعمد وإصرار وقصـد، وذلـك بعـد مـا عقلوها وفهموها، وعلموا حقيقتها وطبيعتها.

إن جملة: ﴿وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ جملة حاليـة، والـواو فيها واو الحال، وهي تُخبر عن حالهم في سماع كلام الله.

وجملة: «وهم يعلمون» جملة حاليـة أخرى، تخبر عـن حـالهم في العلـم بكلام الله.

متى حرف الأحبار التوراة وغيروها وبدلوها؟

بعد تمكنهم من ثلاثة أشياء:

- سماعهم كلام الله، وتأكدهم أنه من عند الله.

- عقله وفهمه وإدراكه.

- علمهم أنه من عند الله، وتيقنهم من ذلك.

بعد هذه الخطوات العلمية اليقينية -التي يجب أن توجد عندهم الالـتزام

والتطبيق لما في كتاب الله- يقدمون على تحريفه وتبديله وتغييره! وهم يعلمون ما هم مقدمون عليه، ويعلمون عاقبته، ويعلمون عقوبته عند الله، ويعلمون ما توعدهم الله عليه من العذاب في الآخرة.. ومع ذلك كله يحرفونه!!

إخبار سورة النساء عن تحريف التوراة:

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء:٤٦].

المراد بالذين هادوا هنا اليهود.

والراجح أن حرف «من» هنا للتبعيض أي الذين يحرفون الكلم عن مواضعه هم فريق من اليهود، وهم أحبارهم ورجال الدين فيهم، وهؤلاء الأحبار هم «الأمناء» على التوراة، الذين استحفظهم الله عليها، وأمرهم بحفظها ومنع العدوان عليها، هم الذين حرفوها.

والكلم جمع كلام.

وقد ذكر «الكلام» في سورة البقرة، في سياق الإخبار عن تحريف اليهود للتوراة: ﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾.

والمراد بالكلام الجنس: أي: يحرفون الكلام، الذي هو كلام الله. أما «الكلم» فإنه جمع يراد به الكلام الكثير، ولذلك أضيف الكلام إلى الله، بينما لم يضف «الكلم» إلى الله، لأنه مفهوم، أي: الأحبار اليهود يحرفون الكلم، الذي هو من عند الله.

ومواضع الكلام هي أماكن تسجيله وحفظه وتثبيته، وهي جمع مفرده «موضع»، الذي هو المكان. فالله أمر أحبار اليهود بحفظ كلامه والمحافظة عليه، وتعاهده والعناية به، وتثبيته في أماكنه و«مواضعه».

لكنهم حرفوه عن «مواضعه». أي: نقلوه عنها، بأن غيروه وبدلوه، حيث «نزعوا» كلام الله عن هذه المواضع، وطرحوه جانباً، ووضعوا فيها كلاماً آخر من عندهم، هم صاغوه وكتبوه وألَّفوه، ثم زعموا أن هذا الكلام الجديد هو كلام الله، وأنهم تلقوه من عند الله!!

لقد ارتكبوا في هذه العملية القبيحة سلسلةً من الجرائم، سببها قسوة قلوبهم، وعدم تعظيم الله، والجرأة على كلامه وشرعه، وعدم الخوف من عذابه.

إخبار سورة المائدة عن تحريف التوراة وترك أحكامها:

الآية الثالثة: قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ﴾ [المائدة:١٣].

تتحدث الآية عن نقض اليهود لعهدهم وميثاقهم -الذي ذكرته الآية السابقة- وتحريفهم لكلام الله.

الباء في قوله: «فبما نقضهم» باء السببية، أي: بسبب نقضهم ميثاقهم أوقع الله بهم عقوبتين:

الأولى: لعنهم. واللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله.

الثانية: جعل قلوبهم قاسية، وقسوة القلب تجعل صاحبه جريئاً على المعاصي والمنكرات والاعتداء على شرع الله.

ونتج عن لعنهم وقسوة قلوبهم تحريفهم الكلم عن مواضعه، بإبعاده عن تلك المواضع، وحذفه منها، والإتيان بكلام آخر من تأليفهم مكانه.

وارتكبوا جريمة أخرى، تضاف إلى مسلسل جرائمهم، وهي المذكورة في قوله: ﴿وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾، والنسيان هنا هو الترك، بسبب الإهمال واللامبالاة. والحظ هو النصيب. والذي ذكروا به هو شرع الله الذي ذكره في كتابه التوراة، وأمرهم بالالتزام به.

هؤلاء اليهود الكافرون حرَّفوا وغيَّروا كلام الله، وتركوا وأهملوا شرعه، وباءوا بغضب الله ولعنته، فماذا استفادوا من حياتهم؟

إخبار سورة المائدة عن مخادعة اليهود للرسول:

الآية الرابعة: قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ

هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ [المائدة:٤١].

بينما تحدثت الآية السابقة (رقم١٣) عن تحريف اليهود السابقين قبل الإسلام للتوراة، تتحدث هذه الآية عن تحريف اليهود اللاحقين الذين في المدينة على عهد رسول الله ﷺ للتوراة، وبذلك التقى اليهود السابقون واللاحقون على اقتراف هذه الجريمة الفظيعة.

يواسي الله في بداية الآية رسوله ﷺ، على ما يجده من عداوة وكيد وتلاعب اليهود، ويدعوه إلى عدم الحزن المؤدي إلى الاكتئاب والإحباط.

وتقرر الآية مسارعة الكفار في الكفر، هذه المسارعة الكاشفة عن طبيعتهم المنحرفة، إذ كان الأصل أن يسارعوا إلى الإيمان، وأن يتنافسوا فيه.

والذين يسارعون في الكفر صنفان:

الأول: المنافقون، الذين زعموا الدخول في الإسلام، وجاهروا بإعلان الإسلام، مع أنهم كفار في الحقيقة: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾.

الثاني: اليهود، الذين زعموا أنهم هادوا ورجعوا إلى الله: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾.

هؤلاء المسارعون في الكفر بصنفيهم: سمَّاعون للكذب، محبّون له، مستمتعون به، كما أنهم سمَّاعون لقوم آخرين لم يأتوا النبي ﷺ: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾.

والمراد بالقوم الآخرين أحبار اليهود، الجالسون في «كُنُسهم» -جمع كنيس وهو مكان صلاتهم- حيث أرسلوا بعضهم إلى الرسول ﷺ، ليتحايلوا على حكم الله، كما سنبين بعد قليل.

والفريقان من اليهود -الجالسون في كنسهم والذين أتوا النبي ﷺ- ﴿يحرفون الكلم من بعد مواضعه﴾.

أي: يتركون شرائع الله وأحكامه لهم، من بعد ما أثبتت في أماكنها ومواضعها، ويتحايلون عليها، ويبدلونها ويغيرونها.

ويقول بعضهم لبعض: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟﴾ أي: اذهبوا إلى أبي القاسم محمد ﷺ واحتكموا إليه، فإن حكم بحكم خفيف فخذوه، وإن حكم بحكم قاس شديد فلا تأخذوه.

سبب نزول الآية:

وقد ورد سبب نزول الآية في الأحاديث الصحيحة.

روى مسلم في كتاب الحدود [برقم: ١٦٩٩] عن عبدالله بن عمر رضي

الله عنهما، قال: أتي بيهودي ويهودية قد زنيا، فانطلق رسول الله ﷺ، حتى جاء يهود، فقال: «ما تجدون في التوراة على من زنا؟» قالوا: نسوِّد وجوههما ونحممهما، ونخالف بين وجوههما، ويطاف بهما، قال: فأتوا بالتوراة إن كنتم صادقين، فجاءوا بها، فقرؤوها، حتى إذا مرّوا بآية الرجم، وضع الفتى الذي يقرأ يده على آية الرجم، وقرأ ما بين يديها وما وراءها! فقال له عبدالله بن سلام، وهو مع رسول الله ﷺ: مرهُ فليرفع يده، فرفعها، فإذا تحتها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما».

قال عبدالله بن عمر: كنت فيمن رجمهما.. ولقد رأيته يقيها من الحجارة بنفسه..

وفي رواية أخرى لمسلم [برقم: ١٧٠٠] عن البراء بن عازب ﷺ قال: مُرَّ على النبي ﷺ بيهودي محمماً مجلوداً، فدعاهم ﷺ، فقال: «هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟» قالوا: نعم!

فدعا رجلاً من علمائهم، فقال: «أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حدّ الزاني في كتابكم؟». قال: لا. ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك! نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا الضعيف أخذنا أقمنا الحد. فقلنا: تعالوا، فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم! فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه» فأمر به فرجم، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى

﴿ٱلۡكُفۡرِ﴾ إلى قوله: ﴿يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ﴾؛ يقولون: «ائتوا محمداً ﷺ، فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا..».

وروى البخاري في كتاب التفسير [برقم: ٤٥٥٦] عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما «أن اليهود جاءوا إلى النبي ﷺ برجل منهم وامرأة قد زنيا، فقال لهم: كيف تفعلون بمن زنا منكم؟ قالوا: نحممهما ونضربهما.

فقال: لا تجدون في التوراة الرجم؟

فقالوا: لا نجد فيها شيئا.

فقال لهم عبدالله بن سلام: كذبتم فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين.

فوضع مدراسها الذي يدرسها منهم كفه على آية الرجم، فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها، ولا يقرأ آية الرجم!

فنزع يده عن آية الرجم، فقال ما هذه؟

فلما رأوا ذلك قالوا: هي آية الرجم.

فأمر بهما فرجما، قريبا من حيث موضع الجنائز عند المسجد، فرأيت صاحبها يجنأ عليها، يقيها الحجارة».

شرح سبب النزول:

يخبر عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن حادثة عجيبة تثبت تحريف اليهود في المدينة أحكام التوراة، واتفاق أحبارهم عليه.

فقد زنا يهودي ويهودية، وهما محصنان متزوجان، فرفع أمرهما إلى أحبار اليهود، والأحبار يعلمون أن حكم الزاني المحصن في الديانة اليهودية هو الرجم بالحجارة حتى الموت.

وأرادوا التحايل على حكم التوراة، بهدف إنقاذ اليهوديين من الموت، فقالوا لبعضهم: اذهبوا بالزانيين إلى محمد ﷺ، فإن حكم عليهما بحكم مخفف، وهو الجلد أو التعزير، فاقبلوا حكمه واعتبروه عذراً لكم عند الله، وإن حكم عليهما بالرجم فلا تأخذوا حكمه!!

فجاءوا بهذه النية في التحايل والتلاعب إلى رسول الله ﷺ، ولكن الرسول ﷺ ذكي واعٍ، يدرك تحايلهم، فلما دخلوا عليه كان عنده عبدالله بن سلام ﷺ، وكان قبل إسلامه من كبار أحبار اليهود، فهو مطلعٌ على التوراة، وعالم بطبيعة اليهود المتحايلة المحرِّفة.

ولما كلّموا الرسول ﷺ بقضية الزانيين سألهم عن حكم الزاني في التوراة.

فكذب الأحبار، وأخفوا عليه حكم الله في التوراة، وقالوا: نُحمم الزانيين ونعزرهما ونسود وجوههما!

فقال لهم: ألا تجدون في التوراة الرجم؟

قالوا: ليس فيها شيء عن الرجم.

قال: هاتوا التوراة، واتلوها إن كنتم صادقين.

فأحضروا نسخة من التوراة، وقام أحد أحبارهم بقراءتها، على الطريقة

اليهودية، القائمة على التحريف والتحايل والخداع، حيث فتح الصفحة التي فيها حكم الرجم، ووضع يده على النص التوراتي الذي يأمر برجم الزاني المحصن، وقرأ النص الذي قبله، والنص الذي بعده، ليوهم النبي ﷺ ومن حوله بأن التوراة لا تأمر بالرجم!

وكان عبد الله بن سلام ﷺ يلاحظ تحريف وتحايل الحبر اليهودي الكاذب، فقال له: ارفع يدك، واقرأ ما تحتها!!

وأسقط في يد الحبر اليهودي، بعد كشف تحريفه، واضطر أن يقرأ النص الآمر بالرجم.

عند ذلك قال رسول الله ﷺ: اللهم إني أول من أحيا أمرك حين أماتوه! أي: أمات اليهود أمر الله، حين عطلوا بعض أحكام التوراة، ولم ينفذوها، فأراد الرسول ﷺ أن يحيي أمر الله، وذلك بتنفيذه وتطبيقه على المخالفين.

أمر الرسول ﷺ برجم اليهوديين الزانيين، تطبيقاً لحكم الله في التوراة، فرجما، وكان اليهودي يقي عشيقته اليهودية الحجارة!

وقد أنزل الله الآية بمناسبة هذه الحادثة، وسجّل فيها تحريف اليهود للتوراة، وتحريفهم كان بتعطيل أحد أحكام التوراة، والإتيان بحكم آخر من عندهم، يتفق مع أهوائهم، ومحاولة إخفاء حكم الله فيها عندما طلب منهم قراءته!

(١٤)

القرآن يسجل بعض جرائم الأحبار

انتشر الفساد والانحراف بين اليهود بصورة عامة، وكان الواجب على «رجال الدين اليهودي» محاربة الفساد والانحراف، والنهي عن المنكر، وتربية الناس على الحق، وبيان أحكام الله لهم، والأخذ بأيديهم عليها لتطبيقها والالتزام بها.

لكنّ رجال الدين اليهودي من الربانيين والأحبار غزاهم الفساد، وانتشر فيهم الانحراف، وكانوا أكثر فساداً وانحرافاً وعصياناً من الآخرين، يسابقونهم إلى المعاصي، وينافسونهم عليها، ويقدمون لهم «الفتاوى» الباطلة، يبررون بها انحرافاتهم، ويجعلونها متوافقة مع شرع الله في التوراة، مقابل رشوة أو منفعة يحصلون عليها منهم.

وبانحراف الربانيين والأحبار يكون إصلاح هذا الصنف اليهودي من البشر غير ممكن، لأن وظيفة القادة الدينيين في شعب ما هي مراقبة الشعب وتقويمه وإرشاده، وتربية أفراده، فإذا ما كانوا أكثر انحرافاً من الشعب فكيف يصلحون غيرهم؟

هذا ما حصل لليهود، وفي مقدمتهم قادتهم الدينيون من الأحبار!

وقد فضح القرآن الكريم رجال الدين اليهودي، وسجل بعض جرائم أحبارهم وربانيّيهم، وتلاعبهم بشرع الله في التوراة، وتحايلهم على أحكامها، وتحريفهم لها.

وقد وقفنا في المبحث السابق مع الآيات التي بينت تحريف الأحبار للتوراة، ونتابعُ هنا النظر في الآيات التي سجّلت جرائم أخرى للأحبار، تضاف إلى جريمة التحريف والتغيير والتبديل.

الأحبار يلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق:

أولاً: قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [البقرة:٤٠-٤٢].

الخطاب في هذه الآيات -وما بعدها- لليهود في المدينة، ولأحبارهم على وجه الخصوص، يذكرهم الله فيه ببعض نعمه عليهم، ويسجل بعض جرائمهم.

يأمرهم الله في الآيات بتذكر نعمه عليهم ليشكروه عليها، وبالوفاء بعهدهم معه، والخوف منه وحده، والإيمان بالرسول الخاتم ﷺ، الذي بعثه مصدقاً لما معهم.

وقد نهاهم الله في الآيات عن ارتكاب أربع جرائم:

أ. قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ﴾: نهاهم عن المسارعة في الكفر

بالرسول ﷺ، وبالقرآن المصدق للتوراة التي معهم، لأن الأصل أن يكونوا أول مؤمن بذلك، فيكف يكونون أول كافر به؟

ب. قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: نهاهم عن المتاجرة بآياته التي أنزلها عليهم في التوراة، وأخذ الرشاوى من الناس مقابل الفتاوى الباطلة التي يقدمونها لهم، يحللون فيها الحرام، ويحرمون فيها الحلال.

وهذه إدانة لهم لتلاعبهم بأحكام الله وآياته، حيث كانوا يشترون بها ثمناً قليلاً.

كان اليهودي إذا وقع في مشكلة، أو أراد الحصول على «فتوى» يبرر بها فعله، يلجأ إلى أحد الأحبار، ويعرض الأمر عليه، ويوحي له -أو يُملي عليه- ما يريد، مقابل مبلغٍ من المال يدفعه له، ويقلب الحبر في التوراة والكتب التي عنده، ويقدم له الفتوى أو الحل، المتفق مع ما يريد، وبذلك يحل له الحرام، ويبيح له المنكر، مقابل المبلغ الذي أخذه منه، وهو بهذا يتاجر بأحكام الله، ويتلاعب بشرائعه، حيث يشتري بها ثمناً قليلاً، يأخذه رشوة من اليهودي القادم إليه! وحين يتحول الدين إلى وسيلة للارتزاق والكسب، وأداة للمتاجرة وتحقيق الربح والحرام، تكون الطامة الكبرى، والأحبار في ذلك قدوة سيئة لمن بعدهم من التجار المرتزقين المتلاعبين بأحكام الدين!

ج. قوله: ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾: نهاهم الله عن لبس الحق بالباطل. واللبس هو الخلط، حيث يخلط الأحبار الحق بالباطل، ويقدمونه للناس على أنه حق واجب، وصواب قاطع من عند الله.

وأساس معنى «اللبس» هو الستر والتغطية. يقال: لبس الرجل ملابسه، يلبسها: أي: ارتدى ملابسه، وستر وغطّى بها بدنه.

ويقال: لبس الرجل المسألة على خصمه، يلبسها. أي: عماها وغطّاها عليه، ولم يبينها له.

ولبس الحق بالباطل بتغطية الحق على الناس بالباطل، وعدم توضيحه وتبيينه، وبذلك يلتبس ويشتبه الأمر عليهم، ولم يعرفوا ماذا يفعلون.

لقد وضح الله الحق للناس وبينه وفصله، من خلال آياته البينات، التي فرقت بين الحق والباطل، وبذلك أصبح الحق واضحاً بيناً، والباطل معروفاً بيناً، يختار الناس ما يريدون، من الحق أو الباطل، فيهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة.

وقد قام الأحبار المجرمون بجريمتهم القبيحة في لبس الحق بالباطل، بتغطيته بالباطل وستره به، ليقع الناس في الحيرة والاشتباه.

وهذه الجريمة منهم أدت إلى تحريف التوراة، وإخفاء الحق الذي فيها، وطمس معالمها وأنوارها وإشراقها، والقضاء على هديها ومهمتها، وتحويلها إلى سوداء مظلمة، وكتاب عنصر إرهابي متعصب، من تأليف أولئك الأحبار!

علم اليهود بالتوارة أماني وظنون:

ثانياً: قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٧٨ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ۝٧٩﴾ [البقرة:٧٨-٧٩].

هاتان الآيتان في سياق آيات عديدة، تدين اليهود لتلاعبهم بالتوراة، وتحريفهم لأحكامها، ونقضهم عهدهم مع الله.

أخبر الله أن معظم اليهود «أميون» لا يعلمون كتاب الله إليهم «التوراة» لأنهم لا يتلونها ولا يتدبرونها، ولا يعرفون أحكامها، وقد أوكلوا هذه المهمة إلى أحبارهم واستراحوا.

ومعظم اليهود جاهلون أميون، لا يعلمون من التوراة إلا «أماني» ظنوناً وأوهاماً، ليس لها نصيبٌ من الحق.

ومن أمنياتهم الباطلة، وظنونهم الفارغة، زعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأن الله يحبهم ويرضى عنهم، ولن يعذبهم، فإن أراد تعذيبهم فلن يزيد ذلك عن أيامٍ معدودات! وقد كذبهم الله في هذه الأماني والظنون، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨٠﴾ [البقرة:٨٠].

الأحبار يؤلفون التوراة ثم ينسبونها إلى الله:

وإذا كان عامّة اليهود أميّين جاهلين بالتوراة، فماذا كان موقف الأحبار

منها، الذين أوكلت لهم مهمة حفظها وبيانها؟

لقد تلاعبوا بها وحرفوها وغيروها وبدلوها، وسجل الله عليهم هذه الجريمة بألفاظ صريحة: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

«ويل» كلمة تهديد ووعيد، فالله يهدد الأحبار المحرفين للتوراة، ويتوعدهم بالويل والعذاب.

ومن المبالغة في الوعيد تكرار الويل في الآية ثلاث مرات. في المرة الأولى كان الويل والعذاب لهم لكفرهم: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ﴾ .. وفي المرة الثانية كان الويل والعذاب لهم بسبب الكتابة الضالة المنحرفة التي حرّفوا بها التوراة: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ .. وفي المرة الثالثة كان الويل والعذاب بسبب الكسب الحرام الذي كسبوه من تلك الكتابة الباطلة التي حرفوا بها التوراة: ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

إن الأحبار المجرمين يكتبون الكتاب بأيديهم، ويدونون فيه كلاماً من عندهم وتأليفهم وصياغتهم، ويخرجون على أتباعهم بهذا الكلام المكتوب على الأوراق، ويزعمون أنه من عند الله، ويقولون: هذا هو كلام الله، الذي أثبته في التوراة، وأنزله على نبيه موسى عليه السلام. ونحن حفظنا كلام الله وحافظنا عليه!!

وهدفهم من هذا التحريف «تسويق» كلامهم عند أتباعهم، والمتاجرة به، فهم يقدمونه لهم، ويعرضونه أمامهم، فيأخذه الأتباع، ويتعبدون به، ويدفعون ثمنه لأحبارهم.

والتاريخ اليهودي الأسود مليء بالنماذج الصارخة، التي هي مصداقٌ لهذه الآية، حيث كان الأحبار «يؤلفون» التوراة، ويصوغونها ويكتبونها، ويأخذونها من عدة مصادر بشرية، يقتبسون من تلك المصادر الأفكار والتصورات والحكايات، ويقدمونها لأتباعهم على أنها كلام الله، والتوراة المنزلة على موسى عليه السلام!

بعثة الرسول ﷺ تصديق للتوراة:

ثالثاً: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا..﴾ [البقرة:١٠١-١٠٢].

تتحدث الآيتان عن تكذيب اليهود للرسول ﷺ، وتخليهم عن التوراة نفسها، واتباعهم السحر.

إن الأحبار اليهود يعلمون أن الله سيبعث رسولاً خاتماً، ويعلمون صفاته، لأن هذا موجودٌ في التوراة، وبشّرهم به أنبياؤهم. وقد كانوا في المدينة قبل البعثة يستفتحون بذلك على العرب، وعلى هذا قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٨٩ بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا﴾ [البقرة:٨٩-٩٠].

ولما بعث الله محمداً رسولاً ﷺ، كفر اليهود -أحبارهم وعامتهم- به مع أنه ﴿مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ﴾.

والمراد بقوله: ﴿لِّمَا مَعَهُمۡ﴾ كتاب الله إليهم «التوراة» فالرسول ﷺ مصدق للتوراة التي مع الأحبار، ومن صور تصديقه للتوراة تحقق الوعود والأخبار التي فيها في شخصيته ﷺ.

بشرت التوراة بالرسول الخاتم ﷺ، وذكرت بعض صفاته، وطلب أنبياء بني إسرائيل من قومهم الإيمان به واتباعه إذا أدركوه، وبذلك صار عند أحبار اليهود علمٌ يقينيٌ به.

فلما بعث الله محمداً رسولاً ﷺ تحققت البشارات والصفات والوعود التي في التوراة فيه، وبذلك كان ﷺ مصدقاً للتوراة التي مع الأحبار.

الأحبار نبذوا التوراة المبشرة بالرسول الخاتم:

ولما تأكد أحبار اليهود من أن محمداً ﷺ هو النبي الخاتم كفروا به وكذّبوه، ولكن ماذا يفعلون بالتوراة التي بَشّرت به، والتي انطبقت آياتها عليه؟

إنها تفضحهم وتدينهم، لأنهم يزعمون الإيمان بها!

الحل عندهم هو نبذ التوراة نفسها: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾.

المراد بالكتاب في ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ التوراة، وليس القرآن، لأن التوراة كتاب الله كما هو معلوم، فاليهود الذين أوتوا الكتاب نبذوا كتاب الله إليهم «التوراة» وراء ظهورهم.

كيف نبذ الأحبار التوراة وراء ظهورهم؟

إنهم لم يكفروا بها، لأنهم يزعمون الإيمان بها، ولكنّهم حرّفوها، بأن حاولوا حذف نصوصها التي تبشر بالرسول الخاتم، وتذكر صفاته، وحرفوها بأن حاولوا إخفاء تلك النصوص عن الآخرين من العرب لئلا تكون إدانة لهم، وحرفوها بأن أساءوا تأويلها، حيث قالوا: الرسول الخاتم الذي ذكره الله في توراتنا ليس من العرب بني إسماعيل، وإنما هو منّا نحن بني إسرائيل، وأنه سيكون في آخر الزمان، ولم يحن وقت بعثته!

وهذا التحريف من الأحبار لنصوص التوراة -بهذه الصور من التحريف- اعتبر «نبذاً» للتوراة، وطرحاً وإلقاءً لها. لأن عدم إيمانهم بما فيها، وعدم تطبيقهم لنصوصها نبذٌ وطرحٌ لها.

وما هو البديل عن نصوص التوراة عند الأحبار؟ إنه اتباع الباطل والكفر، المتمثل بالسحر الذي كانوا يتقولونه ويكذبونه، وينسبونه إلى

سليمان عليه السلام: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾.

أحبار اليهود أظلم الناس لكتمانهم الشهادة:

رابعاً: قال تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ [البقرة:١٤٠].

تكذب الآية اليهود -والنصارى- في زعمهم أن الأنبياء السابقين كانوا يهوداً أو نصارى، وجاءت بعد آيات قررت كون أولئك الأنبياء مسلمين، لأن الإسلام هو دين الله الذي بعث به جميع رسله عليهم الصلاة والسلام.

وسألتهم الآية سؤالاً جوابه متفق عليه، وذلك لإدانتهم: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾؟ وكل عاقل سيجيب: الله هو الأعلم!

فإذا كان الله هو الأعلم فلماذا لا يقبلون كلامه وحكمه، الذي قرر فيه أن الأنبياء السابقين كانوا مسلمين؟ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ

قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾» [البقرة:١٣٠-١٣٣].

ووصف الله اليهود بكتم الشهادة واعتبرهم أظلم الناس: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ»؟.

وكتمانهم الشهادة له جانبان:

الجانب الأول: زعمهم أن الأنبياء السابقين كانوا يهوداً أو نصارى.

الجانب الثاني: إنكارهم نبوة محمد ﷺ، ونفيهم أن تكون التوراة قد وصفته أو بشرت به.

وبكتمان الشهادة كانوا أظلم الناس وأكفر الناس، واستحقوا بذلك لعنة الله!

الأحبار يكتمون الحق بإنكار نبوة محمد ﷺ

وقد ذكرت آيات عديدة في القرآن معرفة اليهود بالرسول ﷺ معرفةً يقينية، أنه الرسول الخاتم، الذي بشرت به التوراة، ومع ذلك كفروا به.

ومن هذه الآيات قوله تعالى: «ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾» [البقرة:١٤٦-١٤٧].

إن أحبار اليهود يعرفون أن محمداً ﷺ هو رسول الله، كما يعرفون أبناءهم.

وإن معرفة الإنسان بابنه معرفة يقينية جازمة، لا يتطرق إليها شك، وتشبه بها المعرفة اليقينية التي يعرفها الإنسان.

ومعرفة الأحبار بالرسول ﷺ من خلال نصوص التوراة، التي بشرت به وذكرت صفاته، وهم مطّلعون عليها في التوراة.

ولكنّهم كفروا بالرسول ﷺ وأنكروا نبوته! وبذلك خالفوا معرفتهم اليقينية، وتناقضوا مع أنفسهم، وكذّبوا علمهم ومعرفتهم.

ولما سُئلوا عن نبوته عليه الصلاة والسلام أنكروها، ولما سُئلوا عن صفاته في التوراة نفوا وجودها فيها؟ وبذلك كتموا الحق، وهم يعلمون ما كتموه، ويدركون تناقضهم وكذبهم على أنفسهم: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾.

فكتمان الشهادة وكتمان الحق صفة ملازمة لأحبار اليهود الكافرين الظالمين.

مجموعة أخرى من جرائم الأحبار:

خامساً: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾ [آل عمران: ٧٠-٧١].

تسجل الآيتان عدة جرائم ارتكبها أهل الكتاب، وفي مقدمتهم الأحبار:

- كفروا بآيات الله التي أنزلها على رسوله ﷺ، والمتمثلة في آيات القرآن، وهم يشهدون شهادة قاطعة أنها آيات الله، النازلة على رسوله ﷺ، وهذه الشهادة أخذوها من التوراة التي بشرت به.
- لبسوا الحق بالباطل، وغطوا الحق به، وبذلك طمسوا أنوار الحق، وأوقعوا الناس في حيرة وتيه.
- كتموا الحق وجحدوه، وأخفوه وأنكروه، وبذلك حرموا الناس منه، وأبقوهم في الكفر والضلال.
- فعلوا الجرائم السابقة عن تعمدٍ وقصدٍ وتصميم، فكانوا يعلمون ما هم مقدمون عليه، ومخالفته لتوجيهات التوراة نفسها، وعلمهم لم يوجد عندهم التوقف عن التحريف والكتمان والتمويه والكذب، ولم يأخذ بأيديهم إلى الخوف من الله.

وقريب من هاتين الآيتين في الإنكار على الأحبار وغيرهم من أهل

الكتاب قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [آل عمران:٩٨-٩٩].

الجرائم التي ارتكبها الأحبار مستمرة، من الكفر بآيات الله، وصد الآخرين عن سبيل الله، ومنعهم من الإيمان، وحرصهم على اعوجاج الطريق، وانحراف السائرين عليه!

متاجرة الأحبار بالتوراة:

سادساً: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران:٧٧-٧٨].

الآية الأولى إخبارٌ عن ما ينتظر الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً من سوء المصير يوم القيامة.

إنهم ﴿لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ﴾ أي: لا نصيب لهم من الخير في الآخرة، لأنهم لا

يستحقون شيئاً من الخير أو العطف أو الرحمة، لجرائمهم التي ارتكبوها في الدنيا.

وهؤلاء المجرمون لا قيمة ولا وزن لهم عند الله، فهو سبحانه لا يكلمهم يوم القيامة كلام رحيم، إنما يكلمهم كلام غاضب منتقم معذب مهدد، ولا ينظر لهم نظرة رحمة وعطف، وإنما ينظر لهم نظرة غضبٍ وتهديد، ولا يزكيهم أو يطهرهم، لأنهم رجسٌ ونجس، والنتيجة أن الله يعذبهم العذاب الأليم في نار جهنم.

وأول ما تنطبق هذه الصفة: ﴿ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ على الأحبار المجرمين، الذين كانوا يتاجرون بالدين، ويحرفون التوراة، ويقدمون لليهود ما يتفق مع أهوائهم، مقابل مبلغٍ قليل من المال!

الأحبار يلوون ألسنتهم بالتوراة:

أما الآية الثانية فإنها تخبر عن تلاعب الأحبار بالتوراة وتحريفها: و«ليّ» ألسنتهم بها، لخداع المسلمين والتلبيس عليهم.

قال الإمام الراغب عن الليّ: «الليُّ: فتل الحبل، ولوى يديه: فتلها.. ولوى رأسه: أماله. ولوى لسانه بكذا: كناية عن الكذب وتخرس الحديث» [المفردات:٧٥٢].

كان الأحبار: ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: كانوا يديرون ويحركون ألسنتهم بكلمات التوراة، وينطقون بها بطريقة خبيثة، يحرفون فيها بعض حروفها وكلماتها، ويخرجونها من أفواههم بكلماتٍ أخرى غير كلماتها.

فليُّهم ألسنتهم بالتوراة صورة من صور تحريفهم لهـا، وقـد ذكـر القـرآن عدّة صورٍ وأمثلة لتحريف التوراة عندهم.

والأحبار بهذا اللي والتحريف يريدون خداع المسلمين، فعندما يسـمعهم المسلمون يظنون أنّ الكلمـات الخارجـة مـن أفواهـهم مـن التـوراة، وهـي ليست من التوراة، وإنما من تأليفهم وصياغتهم.

ويقول الأحبار المحرفون: هذا الكلام الذي تسمعونه منّـا أيـها المسـلمون من عند الله، أنزله إلينا في التوراة! ويكذبهم الله في هذا الزعـم، فيقـرر أنـه ليس من عنده، وإنما هو من عندهم.

ونتيجة لذلك اللي والتحريف فإنـهم يقولـون علـى الله الكـذب، وهـم يعلمون أنهم كاذبون عليه.

لقد سجلت الآية مجموعةً من جرائم الأحبار المتعلقة بالتوراة.

- إنهم يلوون ويديرون ويحيلون ويحركون ألسنتهم بالتوراة عنـد النطـق بها.
- إنهم يخادعون المسلمين، عن طريق إيهامهم بأنّ ما يسمعونه منهم هو من التوراة، وهو ليس من التوراة.
- إنهم يكذبون على الله وعلى المسلمين، حيث ينسبون ما يؤلّفونه مـن الكلام إلى الله، عندما يقولون: هو من عند الله، وهو ليس من عند الله وإنما هو من عندهم.

- إنّهم يتجرءون على الله، حيث يكذبون عليه، بدون خوفٍ منه أو تقديرٍ له.
- إنهم يعلمون ما يفعلون، أي: يعلمون أنهم يكذبون على الله، فكذبهم عليه سبحانه مع القصد والتعمد والإصرار!

الأحبار لم يبينوا التوراة للناس:

سابعاً: قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ [آل عمران:١٨٧-١٨٨].

يُخبرُ الله في الآية الأولى أنه أخذ العهد والميثاق على أهل الكتاب أن يبينوا الكتاب للناس، ولا يكتموا منه شيئاً، وفي مقدمتهم أحبارهم ورجال الدين فيهم، لكنّهم نقضوا الميثاق مع الله، ونبذوا الكتاب، واشتروا به ثمناً قليلاً.

والمراد بالذين أوتوا الكتاب اليهود، والمراد بالكتاب التوراة، والضمير الهاء في ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ﴾ يعود على الكتاب، الذي هو التوراة، والمراد بالناس أناس مخصوصون هم بنو إسرائيل، لأن التوراة كتاب الله لهم وليس للناس جميعاً.

أمر الله الأحبار الذين أوتوا التوراة بأمر، ونهاهم عن نهي:

أمرهم أن يبينوا التوراة لبني إسرائيل، وذلك ببيان ألفاظها وجملها، ثم بيان معانيها ودلالاتها، ثم بيان أحكامها وتشريعاتها، وإلزامهم بها، وتربيتهم عليها: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾.

ونهاهم عن كتمان التوراة، وإخفائها عن بني إسرائيل، رغم حاجتهم الماسة لها، وكتمانها قد يكون بإخفاء ألفاظها، وقد يكون بإخفاء أحكامها، وقد يكون بإنكار بعضها، أو بتحريفها وتغييرها وتبديلها: ﴿وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾.

ماذا فعل الأحبار بما أمروا به، وبما نهوا عنه؟

لقد قصروا في الأمر وضيعوه، فلم يبينوا التوراة للناس، وخالفوا النهي، فارتكبوا ما نُهوا عنه، وكتموها عن الناس!

لم يبينوا التوراة، وكتموها، ونبذوها وراء ظهورهم، وطرحوها وألقوها، وتولّوا عنها وتجاوزوها: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ﴾.

وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١﴾ [البقرة:١٠١]، ولم يكتف الأحبار بنبذ التوراة وراء ظهورهم، وإنما تاجروا بها وتلاعبوا بأحكامها، وأخذوا الرشاوى من المتفلتين والمخالفين، مقابل إرضاء أهوائهم: ﴿وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ﴾.

الأحبار يفرحون بكذبهم على رسول الله:

ويهدد الله في الآية الثانية الأحبار بالعذاب لإخفائهم الحقائق، وكتمانهم الشهادة: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ..﴾.

ولهذه الآية سبب نزول، ذكره ابن عباس رضي الله عنهما.

روى البخاري [برقم:٤٥٦٨]، ومسلم [برقم:٢٧٧٨] عن حميد بن عبدالرحمن بن عوف أن مروان [ابن الحكم] قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس، فقل: لئن كان كل امرئ منّا فرح بما أتى، وأحب أن يحمد بما لم يفعل، معذباً، لنعذبن أجمعون؟!

فقال ابن عباس: «ما لكم ولهذه الآية؟ إنما أنزلت هذه الآية في أهل الكتاب.

ثم تلا ابن عباس قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾، وتلا قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾.

ثم قال ابن عباس: سألهم النبي ﷺ عن شيء، فكتموه إياه، وأخبروه بغيره.. وخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا، من كتمانهم إياه ما سألهم عنه»!

شرح سبب نزول الآية:

يروي حميد بن عبدالرحمن بن عوف عن إشكالٍ وقع فيه الوالي على المدينة زمن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وهو مروان بن الحكم، في فهم قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾ لأن ظاهر الآية أنها تهديد بالعذاب لكل إنسانٍ يفرح بما فعل، ويحب أن يحمد، مسلماً كان أو كافراً.

والذي يحل الإشكال ويزيل اللبس هو أعلم المسلمين بالقرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

فطلب الوالي مروان بن الحكم من بوابه «رافع» أن يذهب إلى ابن عباس ويطرح عليه المسألة.

فقال ابن عباس لرافع: ما لكم ولهذه الآية؟ إنما أنزلت هذه الآية في أهل الكتاب!

أي: لا تشمل الآية المسلم الذي يعمل الأعمال الصالحة، ويفرح بها، ويحب أن يحمد ويثنى عليه، لأنها نازلة في أهل الكتاب، وهم اليهود في المدينة.

ومن باب التدليل على هذا الفهم ذكر ابن عباس الآية التي قبلها، والتي تتحدث عن نقض أهل الكتاب لعهدهم وميثاقهم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي أن الآيتين [١٨٧-١٨٨] تتحدثان عن اليهود.

ثم ذكر ابن عباس جريمة أحبار اليهود ضد رسول الله ﷺ، فقد سألهم رسول الله ﷺ عن شيءٍ ما -لم يذكره ابن عباس- عندهم علمٌ به، باعتبارهم أحباراً مطلعين على التوراة.

ولكنهم أجابوا الرسول ﷺ بما يتفق مع طبيعتهم الكاتمة للحق، المحرفة له، فلم يجيبوه الجواب الصحيح، وأجابوه بغيره متلاعبين محرفين! وأروه أنهم أجابوه بالحق.

ثم خرجوا من عنده، وهم يفرحون بما أتوا، من كذبٍ وتلاعبٍ وتحريف، ويقولون: لقد خدعنا أبا القاسم ﷺ وضحكنا عليه، وصدَّق ما قلناه له، مع أنه غير صحيح!

فأنزل الله الآية في ذمهم وتهديدهم بالعذاب، لأنهم يكذبون على رسول الله ﷺ، ويخفون عنه الحق، ثم يفرحون بهذا الكذب والكتمان!

ورغم أنّ الآية نازلة في الأحبار الكاتمين الكاذبين إلا أنها تشمل كل من فعل مثل فعلهم، حتى لو كان مسلماً، فتنطبق على المسلم الذي يكتم الحق، ويكذب في الفتوى، ويجعل الحق باطلاً، والباطل حقاً، ثم يفرح بما فعل من هذا التحريف والكتمان!

رسول الله ﷺ يبين ما أخفاه الأحبار:

ثامناً: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥﴾ [المائدة:١٥].

يخاطب الله أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ويذكر لهم أن من مهمة الرسول الخاتم محمدٍ ﷺ أنه يبين لهم كثيراً مما كانوا يخفون ويكتمون من كتاب الله لهم، ويفضحهم في ذلك أمام الآخرين، وأنه يعفو ويعرض عن كثير مما كانوا يخفونه، ويسكت عنه فلا يكشفه، كما يذكر لهم أنه أنزل على الرسول الخاتم ﷺ القرآن للناس جميعاً، وأنه جعله نوراً وكتاباً مبيناً، ودعا أهل الكتاب إلى الإيمان به، والاستفادة من هديه ونوره.

وأوّل ما تنطبق جريمة الإخفاء والكتمان عليهم هم أحبار اليهود.

والمراد بالكتاب في ﴿تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: التوراة كتاب الله لليهود، والإنجيل كتاب الله للنصارى.

والآية صريحة في أن الأحبار كانوا يخفون عن اليهود كثيراً من التوراة، من ألفاظها وجملها وأسفارها، ومن معانيها وحقائقها، ومن أحكامها وتشريعاتها! وكانوا لا يظهرون من ذلك إلا ما يتفق مع أهوائهم، وأهواء العصاة والمذنبين من اليهود، ولا يظهرون إلا ما يتاجرون به، ويشترون به ثمناً قليلاً.

وقد ذكرنا في مبحث «تحريف أحبار اليهود للتوراة» أمثلةً من أحكام التوراة التي كانوا يخفونها. ومن أشهرها إخفاء الأحبار لحكم رجم الزاني، وعندما اضطرّ أحدهم ليقرأ نصّ التوراة أمام رسول الله ﷺ وضع يده على آية الرجم، وأخفاها، وقرأ ما قبلها وما بعدها، ففضحه عبدالله بن سلام رضي الله عنه، وقال له: ارفع يدك واقرأ ما تحتها!

وبذلك أظهر وبين رسول الله ﷺ لهم هذا الحكم الذي كانوا يخفونه من أحكام التوراة، وانطبق على الحادثة قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ..﴾.

الأحبار لم ينهوا اليهود عن المنكر:

تاسعاً: قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [المائدة:٦٢-٦٣].

يذم الله اليهود لجرائمهم وأفعالهم القبيحة، ومنها مسارعتهم في الإثم والعدوان، لأنهم يرغبون في الإثم والعدوان ويحبّونهما، ولذلك يسارعون فيهما، بدل أن يسارعوا في الطاعة والعبادة وفعل الخير.

المؤمنون يسارعون في الخيرات، واليهود يسارعون في الإثم والعدوان، وشتان بين المسارعتين!

والإثم: هو فعل الحرام، الذي يقود إلى الإثم والعذاب. والعدوان: هو الاعتداء على الآخرين.

والسّحت: هو الحرام من المأكولات والمشروبات والمقتنيات، واليهود

جشعون، عندهم نهمٌ عجيب في طلب السحت وتملكه والحصول عليه وأكله.

وبعد ذلك يذم الله رجال الدين اليهودي من الربانيين والأحبار، لأنهم قصروا في واجبهم، ولم ينهوا اليهود عن جرائمهم.

و«لولا» في قوله: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ حرف حث وحض، بمعنى «هلا» أي: هلا قام الأحبار بواجبهم، ونهوا اليهود عن المنكر.

و«الربانيون» جمع رباني، وهو منسوبٌ إلى الرب، و«الربانيون» هم رجال الدين اليهودي، الذين أمروا بتربية اليهود وتزكيتهم، والأخذ بأيديهم إلى عبادة الله وطاعته.

ولعلّ الفرق بين الربانيين والأحبار عند اليهود هو أن الربانيين يركزون على التربية والتزكية والتطهير، بينما يركز الأحبار على العلم والتعليم والفقه والإفتاء، ونشر التوراة وموضوعاتها بين اليهود.

وتتكامل مهمة الربانيين والأحبار على تربية وتعليم اليهود، فكل من الفريقين يكمل مهمة الآخر في الأخذ بيد اليهود لنيل رضا الله! ومن لوازم مهمتهما تعاونهما على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة المنكرات والمحرمات المنتشرة بين اليهود.

ولكنّ رجال الدين اليهودي من الربانيين والأحبار لم يقوموا بواجبهم في التربية والتعليم، وتركوا المنكرات تنتشر بين اليهود وقد ذمهم الله في الآية

بقوله: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

وقعود العلماء والمصلحين عن واجبهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلى فساد المجتمع، وانتشار المعاصي والمنكرات فيه، وانحراف الناس وفسادهم، وسيحاسب الله القاعدين المقصرين.

وقد لعن الله اليهود الكافرين من الأحبار وغيرهم، على لسان أنبيائه، لعدم تناهيهم عن المنكر، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة:٧٨-٧٩].

لعن الله الأحبار الكافرين على لسان نبيهم وملكهم داود عليه السلام، في الزبور الذي أنزله عليه، كما لعنهم على لسان نبيهم عيسى ابن مريم عليه السلام، في الإنجيل الذي أنزله عليه.

وهذه هي النهاية التي انتهى إليها الأحبار الكافرون، الكاتمون للحق، والساكتون عن الحق، أن ينالوا اللّعنات من الله على ألسنة رسله عليهم السلام!

الأحبار يقرطسون التوراة:

عاشراً: قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنعام:٩١].

هذه الآية مكية -على القول الراجح- لأنها في سورة الأنعام المكية، التي وردت الآثار عن الصحابة بنزولها كلّها في مكة دفعة واحدة.

وهي في الحديث عن جدال المشركين ونقاشهم، وإبطال مزاعمهم، وإقامة الحجة عليهم.

تخبر الآية عن قول قبيح للمشركين في إنكار جميع الكتب والرسل، حيث قالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء! وهم في هذا القول الكافر يتهمون الله بالظلم، ولذلك ما قدروه حق قدره، ولا عظموه حق تعظيمه.

ومن أجل إقامة الحجة على المشركين وإبطال كلامهم، أمر الله رسوله ﷺ أن يطلب من المشركين سؤال اليهود في المدينة عن إنزال التوراة على موسى عليه السلام: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ﴾.

أي: قل يا محمد للمشركين الذين نفوا إنزال شيء من الكتب على أحدٍ

من الرسل: اسألوا اليهود في المدينة: أليس عندكم توراةٌ نازلةٌ على موسى عليه السلام؟ فسيقولون: بلى، عندنا توراة!

عند ذلك اسألوهم: من أنزل التوراة على موسى، وجعلها نوراً وهدى لبني إسرائيل؟ فسيقولون: الله هو الذي أنزل التوراة على موسى عليه السلام.

والهدف من هذا إثبات نبوة محمد ﷺ، وإنزال القرآن عليه، لأن من بعث موسى عليه السلام رسولاً، وأنزل عليه التوراة، سيبعث محمداً ﷺ رسولاً وينزل عليه القرآن.

وبعد تقرير تلك الحقيقة التفتت الآية إلى اليهود، وأدانتهم لتلاعبهم بالتوراة: «تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً» وفي هذه الجملة «التفات» من الغائب إلى المخاطب، حيث كانت الجملة السابقة إخباراً عن موسى عليه السلام وكتابه: «من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس».

وتلتفت هذه الجملة إلى الأحبار وتخاطبهم قائلة: ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾.

الهاء في ﴿تَجْعَلُونَهُۥ﴾: تعود على الكتاب الذي جاء به موسى عليه السلام.

و﴿قَرَاطِيسَ﴾: جمع قرطاس، وهي الأوراق التي يكتب عليها.

والهاء في ﴿تُبْدُونَهَا﴾: تعود على ﴿قَرَاطِيسَ﴾ أي: تظهرونها وتعلنونها.

إن هذه الجملة تدين الأحبار المحرفين، وتصرح بأنهم حرفوا التوراة، وذلك بالتغيير والتبديل، والإخفاء والإظهار.

ومن المعلوم أن الأحبار «احتكروا» التوراة وفهمها، وحجبوها عن اليهود، وادعوا أن عامّة اليهود ليسوا مؤهلين لقراءة التوراة أو فهمها، لأن قراءتها وفهمها وحفظها مقصورٌ على الأحبار.

ولم يكن الأحبارُ أمناء على التوراة، حيث ضيّعوها وقرطسوها، وقدموا لليهود ما يتفق مع أهوائهم وشهواتهم، وتاجروا بها، واشتروا بها ثمناً قليلاً.

لقد قرطس الأحبار التوراة، وقسموها إلى كتب وأبوابٍ وفصول ومباحث، وسجلوا تلك الكتب والأبواب على القراطيس والأوراق، وحجزوها واحتكروها، وأخفوا معظمها عن عامّة اليهود، وأظهروا قسماً قليلاً منها.

وهم بهذه القرطسة والتجزئة، وبهذا الإخفاء والإبداء، يتلاعبون بالتوراة، ويحرفون ألفاظها وعباراتها، كما يحرفون معانيها وموضوعاتها، وهم الأمناء على التوراة الذين «استحفظهم» الله عليها!

وهم بهذا التلاعب القبيح طمسوا أنوار التوراة، وأزالوا ما فيها من هدى، وحولوها من كتاب رباني منير هاد، إلى كتاب يهودي عنصري مظلم، من تأليف الأحبار المجرمين، وليس كلام رب العالمين!

الأحبار كالحمار يحمل الأسفار:

أحد عشر: قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٥﴾ [الجمعة:٥].

هذه الآية إدانةٌ أخرى للأحبار وعامّة اليهود، وذم وتوبيخ لهم، لعدم التزامهم بالتوراة، وترسم لهم صورة قبيحة زرية، حيث تشبههم بالحمار يحمل الأسفار!

معنى ﴿حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ كلّفوا بتطبيقها، وأقروا بالالتزام بأحكامها، فليس المراد بالحمل هنا الحمل المادي المحسوس، إنما هو حملٌ معنوي، بمعنى التكليف والوجوب.

وعلى هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢﴾ [الأحزاب:٧٢].

فحمل الأمانة هو التكليف بأدائها.

الله حمّل اليهود التوراة، وأمرهم أن يلتزموا بما فيها، لكنّهم لم يحملوها، ولم ينفذوا أحكامها، ولم يحتكموا إليها، ولم يحافظوا عليها!!

وبدل أن يحملوها ويلتزموا بها أضاعوها وحرّفوها، وغيروها وبدلوها، في ألفاظها وكلماتها، وفي معانيها وموضوعاتها!

ومثلتهم الآية بالحمار يحمل أسفارا: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾.

أي: مثل اليهود في عدم استفادتهم من التوراة، وعدم انتفاعهم بها، كمثل الحمار يحمل على ظهره أسفاراً وكتباً.

ووجه الشبه بينهم وبين الحمار هو عدم الانتفاع بالحمل، وعدم الاستفادة منه، فالحمار يحمل كتباً علميةً عديدة، فيها علمٌ وتربية وتهذيب وسلوك، وفيها هدى ونور، ومع ذلك، لا يستفيد الحمار منها، ولا ينتفع بها، لأنه حيوان لا يقرأ ولا يفهم، ولا يلام الحمار على عدم استفادته وانتفاعه بما يحمل على ظهره، لأنه لم يهيأْ لذلك فهو ليس له مما يحمل على ظهره إلا ثقل الحمل والتعب!

وحمّل الله اليهود -أحباراً وعامة- التوراة، وأمرهم بالالتزام بها، ولكنّهم لم يفعلوا ذلك، واكتفى الأحبار بالتباهي والافتخار بالعلم بها وفهمها، ولكنّهم لم ينفذوها ولم يطبّقوا أحكامها، وبذلك لم يستفيدوا مما يحفظون، ولم ينتفعوا بما يقرءون، ولم يهتدوا بما يملكون، ولم يسعدوا أنفسهم بذلك.

وبذلك صار حملهم للتوراة، وتكليفهم بها مسؤولية ثقيلة، وتبعة عظيمة، فهم في الدنيا خسروا ثمراتها وبركاتها، وفي الآخرة يُسألون عنها، ويحاسبون عليها، ثم يعذبون في النار لسوء فعلهم!

(١٥)

القرآن مصدق للتوراة الربانية

عرفنا في المباحث السابقة أنهما توراتان: توراة حق، وتوراة باطل! التوراة الحق هي التوراة الربانية التي أنزلها الله على نبيه موسى عليه السلام، والتوراة الباطلة هي التوراة اليهودية، التي ألفها أحبار اليهود الكافرون.

وصفات المدح المذكورة في القرآن هي للتوراة الربانية، التي نؤمن أنها كلام الله، وأنها كتابه الذي أنزله على موسى عليه السلام.

التوراة الربانية: هي الضياء والنور، والهدى والرشاد، والفرقان والبركة، وهي التي فيها أحكام الله لبني إسرائيل، وهي التي حكم بها النبيون اليهود ونفذوا أحكامها فيهم.

التوراة الربانية هي التي جاء القرآن مصدقاً لها، وكان الإنجيل قبله مصدقاً ومكملاً لها، والتي كان عيسى ابن مريم عليه السلام مصدقاً لها، وجاء الرسول الخاتم محمدٌ ﷺ مصدقاً لها.

عيسى ومحمد عليهما السلام مصدقان للتوراة الربانية:

قال الله عن تصديق عيسى عليه السلام للتوراة الربانية: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝٥٠﴾ [آل عمرن:٥٠].

ومعنى ﴿لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾: ما سبقني من التوراة، لأن إنزال التوراة على موسى عليه السلام كان قبل بعثة عيسى عليه السلام بقرونٍ عديدة.

وقال تعالى أيضاً عن تصديق عيسى عليه السلام للتوراة: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ [الصف:٦].

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٦﴾ [المائدة:٤٦].

واللافت للنظر أن كلمة ﴿مُّصَدِّقٗا﴾ مذكورة في الآية مرتين:

- جاءت في المرة الأولى إخباراً عن عيسى الرسول عليه الصلاة والسلام، أنه جاء مصدقاً لما سبقه من التوراة: ﴿بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ﴾.

- وجاءت في المرة الثانية إخباراً عن تصديق الإنجيل للتوراة: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾.

عيسى عليه السلام مصدق لكتاب الله التوراة، والإنجيل النازل عليه كتابُ الله، وهو مصدق لكتاب الله التوراة.

ورسولنا محمدٌ ﷺ مصدق للتوراة الربانية المباركة.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [البقرة:١٠١].

ومعنى كونه ﷺ مصدقاً لما معهم من التوراة الربانية أنه مقرر لموضوعاتها، ومؤكد لحقائقها، ووجوده عملياً تفسير واقعي لوعودها وبشاراتها. فقد وردت فيها البشارات بالرسول الخاتم، وذكرت فيها صفاته، فكان وجوده تصديقاً لهذه البشارات وتحقيقاً لوقوعها.

وقد أخذ الله الميثاق على النبيين وطلب منهم أن يوصوا أتباعهم بالإيمان بالرسول الخاتم ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران:٨١].

آيات في تصديق القرآن للتوراة الربانية:

والقرآن مصدق للتوراة الربانية، لأنها كتابُ الله، والقرآن كتاب الله، وكل كتب الله يصدق بعضها بعضاً، ويؤكد الكتاب اللاحق الكتاب السابق منها، ولا يمكن لكتاب الله أن يكذب كتاب الله الذي قبله، كما أنه لا يمكن لرسول الله أن يكذب رسول الله الذي قبله.

والآيات في تصديق القرآن للتوراة الربانية عديدة، في سورٍ مكية وسورٍ مدنية:

قال تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الأحقاف:١٢].

التوراة النازلة على موسى عليه لسلام جعلها الله إماماً لبني إسرائيل، يأتمون بها ويطبقونها، ورحمة يرحمهم بالتزامها، وجعل الله القرآن لساناً عربياً معجزاً، كما جعله مصدقاً للتوراة فيما جاءت به، ومؤيداً لها في حقائقها الإيمانية!

وأخبر الله في نفس السورة -الأحقاف- عن شهادة الجن بتصديق القرآن للتوراة، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الأحقاف:٣٠].

وذكر القرآن أن اليهود كانوا يكلمون العرب في المدينة عن الرسول الخاتم، وعن الكتاب الذي ينزله الله عليه. ولما بعث الله محمداً رسولاً ﷺ وأنزل عليه القرآن، كفروا به، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة:٨٩].

والشاهد في الآية تصريحها بأن القرآن مصدق للتوراة التي مع اليهود، وهي تلك المنزلة على موسى عليه السلام.

وقد دعا الله اليهود إلى الإيمان بالقرآن الذي أنزله، وجعله مصدقاً للتوراة، ولا يعقل أن يكونوا أول كافرٍ به، مع أنه الحق المصدق لما معهم، قال تعالى: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾ [البقرة:٤١].

ولكنهم رفضوا تلبية هذه الدعوة الربانية، وكفروا بالقرآن المصدِّق لما معهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡۗ﴾ [البقرة:٩١].

اليهود أنانيون وعنصريون، فلا يؤمنون إلا بما أنزل عليهم، مع تحريفهم وتبديلهم له، والقرآن الذي أنزله الله بعد التوراة يكفرون به، مع أنه كله حق وصواب، وأنه مصدق لما معهم من التوراة.

والقرآن المصدق للتوراة مهيمن ومسيطر وحاكم عليها، ومهيمن على كل كتب الله الأخرى، لأنه خاتمها، ومحفوظ بحفظ الله، ومستمر حتى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ..﴾ [المائدة:٤٨].

القرآن مصدق للتوراة في موضوعاتها وحقائقها وموضوعاتها، مصدق لها في العقيدة وأسسها، وفي الآداب والأخلاق والفضائل، وفي التاريخ والقصص، وفي التوجيهات والتقريرات والترغيب والترهيب، وغير ذلك.

(١٦)

القرآن مكذب للتوراة اليهودية

التوراة اليهودية هي التوراة التي ألّفها وصاغها أحبار اليهود وحاخاماتهم، على مدار التاريخ اليهودي الطويل.

لقد أضاع أولئك الأحبار التوراة الربانية، التي أنزلها الله على موسى عليه السلام، لأنهم كانوا يتناقلونها مشافهة، من حبر إلى حبر، ولم يكن هناك نصٌ مكتوبٌ يرجعون إليه ويحفظون منه، وفي النقل الشفهي بدون الاعتماد على أوراق مكتوبة معتمدة أخطاءٌ كثيرة، ويضيع فيها كثير من الكلام المنقول، لأن الذاكرة البشرية لا تحسن حفظ كلام كثير بحروفة وألفاظه، وهنا تكمن أهمية وجود نص معتمد مكتوب، يكون الحفظ منه!

وبهذا تميز القرآن في ثبوته وتوثيقه وحفظه، فقد كان رسول الله ﷺ يحفظ الآيات التي ينزل بها عليه جبريل عليه السلام، وبعد أن يصعد جبريل إلى السماء كان رسول الله ﷺ يُسارعُ إلى دعوة مجموعة من الصحابة من الحفاظ، فيتلو عليهم ما نزل عليه من الآيات، فيحفظونها حفظاً متقناً، ثم يكتبونها على الأوراق ووسائل الحفظ والكتابة.

وهكذا في اليوم الأول لنزول الآيات تكون محفوظة حفظاً متقناً من رسول الله ﷺ ومجموعةٍ من الصحابة، وتكون مكتوبة مدونة، فاجتمع بذلك لها الوسيلتان المضمونتان لحفظ وتوثيق الوثائق والنصوص الهامة، وهما: الحفظ والكتابة!

التوراة اليهودية من تأليف الأحبار:

وهذا لم يتحقق للتوراة، فألواح التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام أضاعها الأحبار بعد وفاة موسى عليه السلام، وصاروا يحفظون كلماتٍ وعباراتٍ وفقراتٍ منها، ومع مرور الزمن كانوا ينسون كثيراً من تلك الكلمات والفقرات، فيضيفون لها كلاماً من عندهم وصياغتهم، ويزعمون أن هذا الكلام من عند الله! ولم يكتبوا شيئاً من التوراة إلا بعد قرونٍ من وفاة موسى عليه السلام!

ولما دوّنوها على الأوراق كان معظم الكلام المدوّن هو كلامهم، وليس كلام الله الذي أضاعوه!

وبهذا كانت التوراة اليهودية من تأليف وصياغة الأحبار، حيثُ مزجوا كلام الله القليل الذي بقي في ذاكرتهم «المثقوبة» مع كلامهم الكثير الذي أضافوه، وزعموا أنّ هذا المزيج كلّه كلام الله، مع أنّ كلام الله فيه قليل جداً لا يكاد يذكر! وهذا الخليط هو الذي ظهر به الأحبار على الناس، وسمّوه «العهد القديم» بأسفاره الكثيرة التي هي بشرية الفكرة والتعبير، والتي فيها من الأخطاء والأكاذيب والأباطيل الشيء الكثير، والصواب والصحيح فيها قليلٌ جداً لا يكاد يذكر!

القرآن لا يعترف بالتوراة اليهودية:

هذه التوراة اليهودية «العهد القديم» يكذبها القرآن في كثيرٍ مما فيها، ويبين الأكاذيب والأخطاء التي وقع فيها الأحبار وهم يكتبونها!

لم يعترف القرآن أنّ هذه التوراة اليهودية كلام الله، لأنّ التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام أضاعها اليهود، وحرّفوها وغيروها وبدّلوها.

وجاء هذا في آياتٍ صريحةٍ عديدة، تحدّثنا عنها في المباحث السابقة، ونكتفي هنا بإيراد بعضها لنتذكّرها.

١. قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة:٧٥].

٢. وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة:٧٩].

٣. وقال تعالى: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ [النساء:٤٦].

٤. وقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ..﴾ [المائدة:١٣].

٥. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا

سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟..﴾ [المائدة:٤١].

٦. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران:٧٧-٧٨].

٧. وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ﴾ [الأنعام:٩١].

٨. وقال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الجمعة:٥].

وبما أن هذه التوراة اليهودية من «تأليف» الأحبار الكافرين المحرِّفين للتوراة الربانية الصحيحة، فإنّ القرآن لا يعترف بها ولا يقرُّها، وإنما ينكرها ويرفضها، ولا يعتبرها كلام الله، وهذا هو المفهوم من الآيات السابقة التي أدانت الأحبار إدانةً صريحة.

وإقرارُنا أنّ التوراة اليهودية -المسمّاة «العهد القديم»- من صياغة وتأليف الأحبار على مدار التاريخ اليهودي الطويل، لا يمنع وجود «بقايا» قليلة من التوراة الربانية، متفرقة في أسفارها، لكنّها لا تخرج عن كونها كلماتٍ أو عباراتٍ متناثرة هنا وهناك، وهي قليلةٌ جداً لا تكاد تذكر، وسط ذلك الركام الكبير من تحريفات الأحبار!

ويستحيل «فرز» ذلك القليل من التوراة الربانية، من بين أساطير التوراة اليهودية، ثم إن الله «نسخ» ذلك الكلام، وما فيه من تشريعاتٍ وأحكام، والخيرُ الذي فيه أثبته الله في القرآن!

القرآن يفصل القول فيما اختلف فيه اليهود:

والقرآن الذي يكذب التوراة اليهودية المحرفة، يفصل القول في المسائل العديدة التي كان اليهود يختلفون فيها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾..﴾ [النمل:٧٦-٧٨].

تقرر الآية أن اليهود اختلفوا كثيراً، في مسائل كثيرة، وكانوا فرقاً متقاتلة، وشيعاً متنازعة، يحارب ويكفر بعضهم بعضاً، كما قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ..﴾ [المائدة:٦٤].

وللقرآن القول الفصل في ما كانوا يختلفون فيه، لأنّهم اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝١٧..﴾ [الجاثية:١٧].

والقرآن كله حق وصواب، لأنه كلام الله المحفوظ، والله مطلعٌ على كل شيءٍ، أحاط بكل شيء علماً، سبحانه وتعالى، فهو يعلمُ المسائل التي اختلف فيها اليهود، وأسباب اختلافهم ومظاهره، وآثاره ونتائجه.. وذكر في القرآن القول الفصل في المسائل التي كانوا يختلفون فيها.

ولذلك كان اليهود في عصر رسول الله ﷺ يدهشون ويتعجبون عندما يسمعون آيات القرآن، تتحدث عن أشياء دقيقةٍ خفيةٍ مجهولة في التاريخ اليهودي، لا يعلمها كثيرٌ من اليهود، فكيف يعرف تفاصيلها رجلٌ أمي مثل محمدٍ ﷺ؟ لم يقرأ ولم يطلع على كتب الأحبار؟ إنّ هذا يدل على أنّ القرآن كلام الله.

ولذلك كان القرآن «مهيمناً» على كلّ الكتب الربانية السابقة -التوراة والزبور والإنجيل- أي: هو الحاكمُ عليها، ويجب أن تعاد هي إليه، وأن تفهم على أساسه، وإذا اختلفت تلك الكتب الربانية -المحرّفة- مع القرآن، فالقول قوله، والحكم حكمه، وكلّ ما قاله فهو حقٌّ وصواب، وكلّ ما خالفه فهو كذب وباطل، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ..﴾ [المائدة:٤٨].

ومن الأمثلة على ذلك: ذكرت أسفار العهد القديم أنّ اسم والد إبراهيم عليه السلام هو: «تارح» بينما ذكر القرآن أن اسمه هو: «آزر» وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنعام:٧٤].

والصحيح هو ما ذكره القرآن، فاسم والد إبراهيم عليه السلام هو آزر، لأنه هو المذكور في القرآن، ولا يلتفت إلى ما ورد في التوراة اليهودية المخالف لما ورد في القرآن.

نماذج من تكذيب القرآن للتوراة اليهودية:

وبما أنّ التوراة اليهودية المحرفة كتبها الأحبار، وبما أنّ القرآن هو المهيمن عليها، فإنه يكذبها فيما قالته من أكاذيب وأباطيل، وقد جاء تكذيبه لها في نماذج وأمثلةً عديدة، من أشهرها ما يلي:

١. تكذيب الأحبار في نسبة التعب إلى الله:

كفر مؤلفو التوراة اليهودية في نسبة التعب إلى الله عندما خلق السماوات والأرض، حيث اضطرّه التعب إلى أن يستريح في اليوم السابع، الذي كان يوم السبت.

وقد ورد هذا الكفر في الفصل الثاني من سفر التكوين، قالوا: «وهكذا أُكملت السماوات والأرض وجميع قواتها، وانتهى الله في اليوم السابق من عمله الذي عمله، واستراح في اليوم السابع من كلّ عمله الذي عمله

وبارك الله اليوم السابق وقدسه، لأنه فيه استراح من كل عمله الذي عمله» [التكوين ٢/ ١-٣]

ونسبة الاستراحة إلى الله كفرٌ به، لأنها تنسب النقص والتعب والإعياء إليه، بسبب ما قام به من عمل، مما اضطره إلى أن يستريح ليزول عنه التعب، وهذه عوارض تعترضُ الإنسان المخلوق الضعيف، وينزّه عنها الله الخالق.

ولقد كذّب القرآن هذا القول في آية قصيرة موجزة. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ۝٣٨﴾ [ق:٨]. خلق الله السماوات الأرض في ستة أيام، وكان قادراً على خلقها في لحظة واحدة، لأنه إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون.

وهو سبحانه لم يتعب في خلق السماوات والأرض: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ واللغوب هو التعب والإعياء الذي يضطرُّ صاحبه معه إلى أن يستريح. وهذا تكذيبُ صريح لمؤلّفي التوراة اليهودية في قولهم السابق!

٢. تكذيبهم في زعمهم بحث الله عن آدم:

زعم الأحبارُ مؤلفو التوراة أنّ آدم وحواء لما أكلا من الشجرة صارا عريانين فسمعا وقع خطى الربّ، وهو يتمشى في الجنّة، فاستحيا منه واختبأ خلف أشجارها فصار الربّ يبحث عن آدم وهو لا يراه، ولا يدري أنه أكل من الشجرة!!

قال الأحبار في سفر التكوين: «سمعا وقع خطى الرب الإله، وهو

يتمشى في الجنة، عند نسيم النهار، فاختبأ الإنسان وامرأته من وجه الرب الإله فيما بين أشجار الجنة، فنادى الربّ الإله الإنسان وقال له: أين أنت؟

قال: إني سمعت وقع خطاك في الجنة فخفت لأني عريان، فاختبأت!

قال: فمن أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أمرتك أن لا تأكل منها؟ فقال الإنسان: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت!!» [سفر التكوين: الفصل الثالث: ٨-١٢].

وفي هذا النص مجموعة من «الكفريات» التي فيها نسبة ما لا يجوز إلى الله:

منها: تجسيم الرب الإله، وتصويره في صورة البشر، فها هو يخرج: «يتمشى في الجنة عند نسيم النهار»، أي: يخرج ليسير في بساتين الجنة، ويستمتع بنسيم النهار، وكأنه يريد أن «يغير الجو» ويقوم برحلةٍ ممتعة، كما يفعل البشر!

ومن تجسيم الإله الرب أن تكون له قدمان تسيران وتتحركان، ويخرج من سيرهما صوتٌ مسموع، يسمعه الآخرون، كما يسير أي إنسان، ويسمع وقع خطاه!

ومنها: وصف الإله الرب بالجهل وعدم العلم، وأنه تخفى عليه الأشياء، فعندما اختبأ آدم وزوجه بين أشجار الجنة، وقف الإله الرب يبحث عن آدم، ولما لم يشاهده ناداه قائلاً: أين أنت يا آدم؟

وهل هذا إله يخفى عليه آدم ومكانه، فيضطر إلى أن يناديه ليعرف مكانه؟!

ومنها: وصف الإله الرب بالجهل وعدم العلم بما حصل، فهو لا يعلم أن آدم أكل من الشجرة، وهو لا يعلم أنه عريان، ولذلك سأل آدم: من أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أمرتك أن لا تأكل منها؟

وهذا التخفي والحوار بين الإله الرب وبين آدم كأنه «لعبة» هزلية يلعبها الأولاد الصغار!

وقد كذب القرآن هذا الكلام في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الأعراف:٢٢].

وفرق بين قول الأحبار: نادى الرب الإنسان: أين أنت؟ وهل أكلت من الشجرة؟ وبين قول القرآن: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾.

٣. تكذيبهم في زعمهم صنع هارون العجل:

زعم الأحبار الكفار مؤلفو التوراة اليهودية أن هارون النبي عليه السلام هو الذي أخذ حلي بني إسرائيل وصنع لهم العجل الذهبيّ ودعاهم إلى عبادته.

ورد في سفر الخروج قول الأحبار: «ورأى الشعب أن موسى قد تأخر في النزول من الجبل، فاجتمع الشعب على هارون، وقالوا له: قم فاصنع لنا آلهة تسير أمامنا، فإن موسى ذلك الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر، لا نعلم ماذا أصابه!

فقال لهم هارون: انزعوا حلقات الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم، وأتوني بها.

فنزع كل الشعب حلقات الذهب التي في آذانهم، وأتوا بها هارون.

فأخذها وصبّها في قالب، وصنعها عجلاً مسبوكاً، فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل، التي أصعدتك من أرض مصر!

فلما رأى هارون ذلك بنى مذبحاً أمام العجل، ونادى قائلاً: غداً عيدٌ للرب.. فبكّروا في الغد، وأصعدوا مُحْرَقات، وقرّبوا ذبائح سلامية، وجلس الشعب يأكل ويشرب، ثم قام يلعب..» [سفر الخروج: فصل ٣٢: ١-٦].

ينسب الأحبار الكفار في هذا النص إلى هارون النبي عليه السلام الكفر، فهو الذي أخذ الحلي من بني إسرائيل وهو الذي صنع لهم العجل، وهو الذي قال لهم هذا العجل إلهكم، وهو الذي دعاهم إلى عبادته!

وقد كذبهم الله في القرآن، حيث ذكر أن الذي صنع العجل هو المجرم الكافر السامري، قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾ [طه:٨٥].

وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾..﴾ [طه:٨٧-٨٨].

ودعاهم هارون عليه السلام إلى ترك عبادة العجل، وإلى عبادة الله وحده قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾ [طه:٩٠-٩١].

٤. تكذيبهم في زعمهم انهم أبناء الله وأحباؤه:

الأحبار مفترون كاذبون على الله، وهم عنصريون أنانيّون، وقد أوهموا عامّة اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنّ الله اصطفاهم وكان معهم، وأنه لن يتخلّى عنهم، وأنهم هم المهتدون، وأنّ الجنة لهم وحدهم.

وقد كذّبهم القرآن في هذه المزاعم، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [المائدة:١٨].

هم كاذبون في زعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، لأن الله يعذبهم بذنوبهم، ولو كانوا أبناء الله لما عذبهم. ثم إن الله سبحانه ليس له أبناء، لأنه خالق لكل شيء في السماوات والأرض، وقد خلق البشر جميعاً، وهم من هؤلاء

البشر المخلوقين، لا يميزهم عنهم شيء في الخلقة والصورة، وأساس التفضيل والتمييز عند الله هو العمل الصالح، فالأكرم عند الله هو الأتقى، ولا محاباة عند الله، وكل إنسان مسؤول عن عمله، والله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء.

٥. تكذيبهم في زعمهم أنهم أولياء الله:

زعم اليهود أنهم أولياء الله من دون الناس، وأن الجنة لهم وحدهم، لأنهم وحدهم هم المؤمنون، وغيرهم كافرون.

وقد كذّبهم القرآن في هذا الزعم، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة:٦-٨].

من أجل إظهار كذب اليهود في هذا الزعم، يتحدّاهم بتمني الموت، بمعنى أن يقولوا: اللهمّ أمتنا!

فإذا كانوا أولياء الله وإذا كانت الجنة خالصة لهم، فإنهم سيذهبون إلى الجنة بعد موتهم، وموتهم راحة لهم، وعليهم أن يتمنوا الموت لينالوا السعادة!

ولم يتمن اليهود الموت، ولم ينجحوا في التحدي، وآثروا أن يوصفوا بالجبن، لأنهم يعلمون كذبهم في مزاعمهم، ويعلمون صدق رسول الله ﷺ،

ويعلمون أنهم لو تمنّوا الموت لأماتهم الله، ويعلمون أنهم لو ماتوا لذهبوا إلى النار.

وقد أكدّ على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة:٩٤-٩٦].

كيف يتمنّى اليهود الموت وهم يعرفون ما قدّمت أيديهم من الجرائم والقبائح والرذائل؟ إنّ «ملفّهم» عند الله أسود، وينتظرهم عنده العذاب الأليم، فكيف يتمنون الموت وهذا مصيرهم: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ﴾.

إنهم أحرص الناس جميعاً على «حياة»، وهدفهم هو أن يعيشوا حياتهم الدنيا، مستمتعين بالأكل والشرب والشهوة، ولا يهمُّهُم بعد ذلك أن يكونوا أعزّاء أو أذلاء، أحراراً أو مستعبدين، وهم لا يفكرون في الآخرة!

٦. تكذيبهم في نسبة إبراهيم إلى اليهودية:

من مزاعم وأكاذيب اليهود زعمهم أن إبراهيم الخليل عليه السلام كان يهودياً، وقد نافسهم النصارى في هذه الأكذوبة حيثُ زعموا أنه كان نصرانياً، وقد كذّبهم الله في هذا، فبيّن أنه ما كان يهودياً ولا نصرانياً، ولا

مشركاً، وإنما كان حنيفاً مسلماً.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران:٦٥-٦٨].

أبطلت الآيات احتجاج اليهود والنصارى في إبراهيم عليه السلام، وفندت مزاعمهم أنهم على دينه، فالتوراة والإنجيل أُنزلا من بعده، واليهودُ والنصارى كانوا من بعده، فكيف يزعم اليهود أنه كان يهودياً؟ وكيف يزعم النصارى أنه كان نصرانياً؟ وقد عاش ومات عليه السلام قبل أن يولد أوّل يهودي وأول نصراني!!

إنهم كاذبون إذن في مزاعمهم، فهو لم يكن يهودياً، ولم يكن نصرانياً، ولم يكن مشركاً، وإنما كان حنيفاً عابداً لله، مسلماً موحداً له.

٧. تكذيبهم في مزاعمهم حول عيسى عليه السلام:

كان اليهود أوّل من كذّب عيسى عليه السلام وكفر به، وقد حاربوه أشد الحرب، وألّبوا عليه الرومان الذين كانوا يحكمون بلاد الشام في عهده، وحرَّضوهم على قتله وصلبه، وأتوا بالجيش إلى البيت الذي كان فيه،

ولولا أنّ الله حماه منهم لقتلوه وصلبوه، ولكنّ الله رفعه إليه، فأخذوا أحد الحواريّين بعد أن ألقى الله شبه عيسى عليه السلام عليه، فقتلوه، وقد تباهى اليهود في ما فعلوه، وافتخروا بذلك وقالوا: إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم.

وجاء القرآن مكذباً لهم في هذا الزعم، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (١٥٩)﴾ [النساء:١٥٩].

نكتفي بهذه النماذج السبعة التي كذّب فيها القرآن التوراة اليهودية المحرّفة فيما زعمه الأحبار الذين ألّفوها ونسبوها إلى الله كاذبين مفترين .. وندعو إلى إمعان النظر في آيات القرآن، للوقوف على نماذج وأمثلة أخرى، أبطل فيها القرآن مزاعم اليهود، وسجّلوها في توراتهم، وقالوا هي من عند الله، وما هي من عند الله!

والتوراة اليهودية «العهد القديم» مليئةٌ بالأكاذيب والأباطيل، مما يؤكد أنها ليست التوراة الربانية، وإنما هي من تأليف الأحبار الكافرين، وسنقف مع أسفار التوراة اليهودية الكاذبة في دراساتنا القادمة بعون الله!

الخاتمة

التوراتان بين الكفر والإيمان

بعد انتهاء جولتنا مع القرآن للوقوف على حديثه عن التوراة، نتوقف في هذه الخاتمة لنلخص معالم هذا الحديث القرآني الصادق.

إنه يتحدث عن توراتين، وليس توراةً واحدة، ويذكُرُ ملامح توراتين وليس توراةً واحدة، ويدعونا إلى اتخاذ موقفٍ محددٍ من التوراتين.

التوراة الأولى:

هي التوراة الربانية: وهي كتاب الله الكريم، الذي أنزله على موسى عليه السلام وهذه التوراة أثنى عليها القرآن، ووصفها بصفاتٍ فاضلةٍ طيبة: فهي نور، وضياء، وفرقان، وذكر، وهدى، ورحمة، وإمام، ومباركة، وتبيانٌ لكل شيء، وهي دستور حياةٍ لبني إسرائيل، شرعت لهم الأحكام، ووضحت لهم الحلال والحرام، وحكمهم بها أنبياؤهم وربّانيّوهم وصالحوهم.

هذه التوراةُ الربانية الهادية أمرنا الله أن نؤمن بها، لأن ذلك من الإيمان بالكتب التي أنزلها الله، وهذا ركنٌ من أركان الإيمان، ومن كفر بالتوراة فإنه كافرٌ مخلدٌ في النار، ولو آمن بالإسلام والقرآن ونبوة محمد ﷺ.

لذلك نقرر هنا أننا نؤمن بأنّ التوراة كتاب الله أنزله على موسى عليه السلام، وأنها طيبة عظيمة، مباركةٌ صادقة، وأحكامها وتشريعاتها صحيحة، عبد بها بنوا إسرائيل ربّهم!

لكننا نؤمن أن الأجيال اللاحقة من اليهود قد «ضيعوا» تلك التوراة الربانية المباركة الصادقة، وخلطوها بكلام الأحبار، وبذلك أتلفوها، وطمسوا أنوارها، وغيَّروا أحكامها، ولم يحافظوا عليها كما أمرهم الله!

ونؤمنُ أن الله «نسخ» تلك التوراة التي أنزلها على موسى عليه السلام، والتي حرّفها وضيّعها أحبار اليهود، نسخها بالقرآن، الذي جعله الله الرسالة الخاتمة، وحفظه من التغيير والتحريف، حتى قيام الساعة.

وهذا معناه أنه لا يجوز العمل بالتوراة بعد إنزال القرآن، فإيماننا به إيمان «تاريخي» ليس له بعد واقعي!

التوراة الثانية:

هي التوراة اليهودية: وهي التي ألّفها الأحبارُ اليهود، وكتبوها بأيديهم، وصاغوها بكلامهم وعباراتهم وألفاظهم، ونسبوها إلى الله زوراً وكذباً وبهتاناً.

وهي التي قال الله عنها: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران:٧٨].

وقال الله عنها: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة:٧٩].

هذه التوراة اليهودية ليست كلام الله، وإنما هي من تأليف الأحبار

المحرِّفين الكافرين، حيث أخذوا «بقية» قليلة من التوراة الربانية الصحيحة، وأضافوا لها ركاماً كثيراً من كلامهم، ونسبوا هذا «المزيج» الجديد إلى الله، وكانوا بهذا كاذبين مفترين.

هذه التوراة اليهودية المحرفة هي التي يسميها اليهود: «العهد القديم» بأسفاره العديدة، التي يزعمون أنها عهد الله وميثاقه.

وعلينا أن نؤمن بأنّ هذه التوراة اليهودية ليست كلام الله، وإنما هي من تأليف الأحبار، ولذلك هي مليئةٌ بالأخطاء والأكاذيب، والافتراءات والمزاعم، كما أن فيها كفراً كثيراً بالله وبرسله، ووصف الله بما لا يليق، ووصف الأنبياء والرسل بصفات ورذائل يترفَّعُ عنها أراذل وسفهاء الناس!

وعلينا أن نكفر بهذه التوراة اليهودية المحرّفة، وأن لا ننسبها إلى الله، فالكفر بهذه التوراة اليهودية واجبٌ عقيديٌّ على كل مسلم، ومن آمن أنّ هذه التوراة اليهودية «العهد القديم» الموجودة الآن بين أيدي اليهود والنصارى كلام الله وكتابه النازل على موسى عليه السلام فهو كافر، لأنه كذّب آيات القرآن الصريحة في تحريف الأحبار للتوراة.

إذن: يجب أن نؤمن أن التوراة الربانية النازلة على موسى عليه السلام كلام الله، ومن كفر بذلك ونفى أن تكون كلام الله فهو كافر! ويجب أن نؤمن أنّ العهد القديم -التوراة اليهودية- ليس كلام الله، بل هو من تأليف الأحبار، ومن آمن أنه كلام الله فهو كافر، لأنّه كذّب القرآن الذي أخبر عن تحريف التوراة، وتكذيب القرآن كفر!!!

الفهرس

الموضوع الصفحة

(٥)

دك جبل الطور وصعق موسى عليه السلام

(٦)

موسى عليه السلام يتلقى ألواح التوراة

(٧)

عودة موسى بـالواح التوراة إلى قومه

(٨)

التوراة كلمة أعجمية

الموضوع الصفحة

(٩)

ورود التوراة في القرآن

(١٠)

من أوصاف التوراة في القرآن

(١١)

الأمر باخذ التوراة بقوة

الموضوع الصفحة

(١٢)

من أحكام التوراة في القرآن

(13)

تحريف أحبار اليهود التوراة

(14)

القرآن يسجل بعض جرائم الأحبار

(١٥)

القرآن مصدق للتوراة الربانية

(١٦)

القرآن مكذب للتوراة اليهودية

كتب صدرت للمؤلف مرتبة وفق صدورها

١. سيد قطب الشهيد الحي.
٢. نظرية التصوير الفني عند سيد قطب.
٣. أمريكا في الداخل بمنظار سيد قطب.
٤. مدخل إلى ظلال القرآن.
٥. المنهج الحركي في ظلال القرآن.
٦. في ظلال القرآن في الميزان.
٧. مفاتيح للتعامل مع القرآن.
٨. في ظلال الإيمان.
٩. الشخصية اليهودية من خلال القرآن.
١٠. تصويبات في فهم بعض الآيات.
١١. مع قصص السابقين في القرآن.
١٢. البيان في إعجاز القرآن.
١٣. ثوابت للمسلم المعاصر.
١٤. إسرائيليات معاصرة.
١٥. سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد.
١٦. لطائف قرآنية.
١٧. هذا القرآن.
١٨. حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية.
١٩. الخلفاء الراشدون بين الاستخلاف والاستشهاد.

٢٠. التفسير والتأويل في القرآن.
٢١. الأتباع والمتبوعون في القرآن.
٢٢. التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق.
٢٣. الخطة البراقة لذي النفس التواقة.
٢٤. تفسير الطبري: تقريب وتهذيب: ١-٧.
٢٥. الرسول المبلغ ﷺ.
٢٦. القصص القرآني: ١-٤.
٢٧. تهذيب فضائل الجهاد لابن النحاس.
٢٨. تعريف الدارسين بمناهج المفسرين.
٢٩. القبسات السنية من شرح العقيدة الطحاوية.
٣٠. سيد قطب: الأديب الناقد والداعية المجاهد والمفكر المفسر الرائد.
٣١. صور من جهاد الصحابة.
٣٢. إعجاز القرآن الرباني ودلائل مصدره الرباني.
٣٣. مواقف الأنبياء في القرآن: تحليل وتوجيه.
٣٤. سعد بن أبي وقاص: المجاهد الفاتح.
٣٥. الحرب الأمريكية بمنظار سيد قطب.
٣٦. سيرة آدم عليه السلام: دراسة تحليلية.
٣٧. بين الإسلام الرباني والإسلام الأمريكاني
٣٨. حديث القرآن عن التوراة.